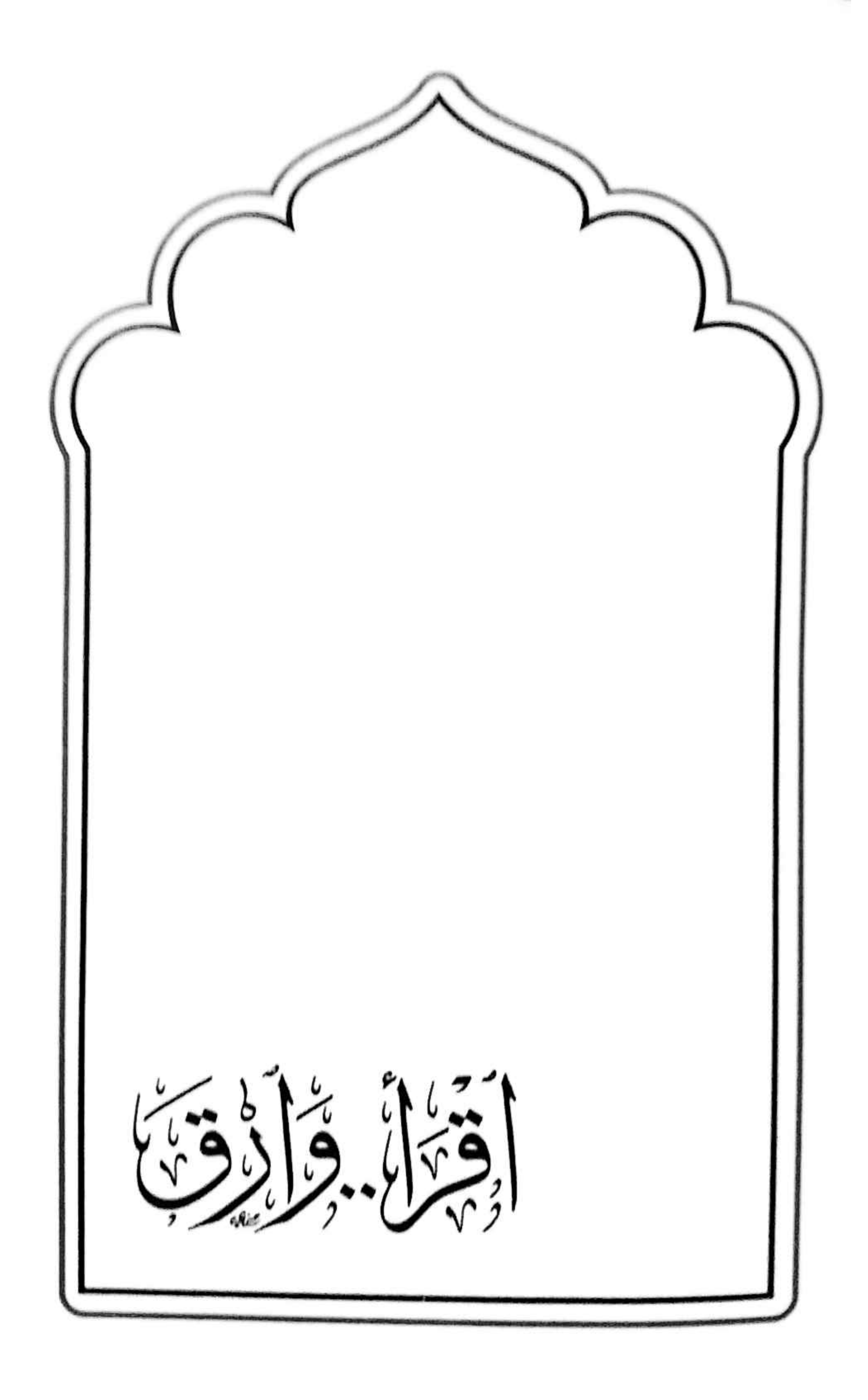
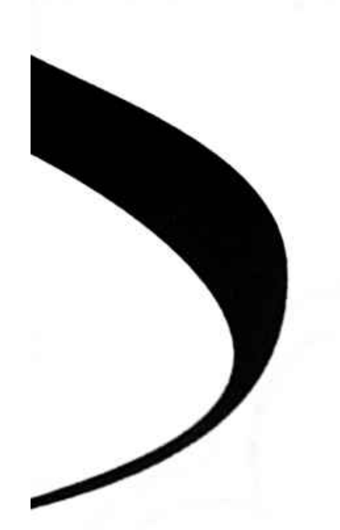
اقرأ.. وارق

ضمائم في شؤون القراءة وأنواعها والكتب وتاريخها والمكتبات وما إليها

تأليف
د. علي بن محمد العمران




اقرأ.. وارق



الطبعة الأولي

2018م / 1439هـ

إقرأ..وارق

رقم الايداع: 22675/2018

عدد الصفحات: 168 صفحة

المقاس: 14 × 20 سم

الكاتب: د. علي بن محمد العمران



للنشر والتوزيع

العنوان الرئيسي : ١٠ شارع البيطار

خلف جامع الأزهر - القاهرة - مصر

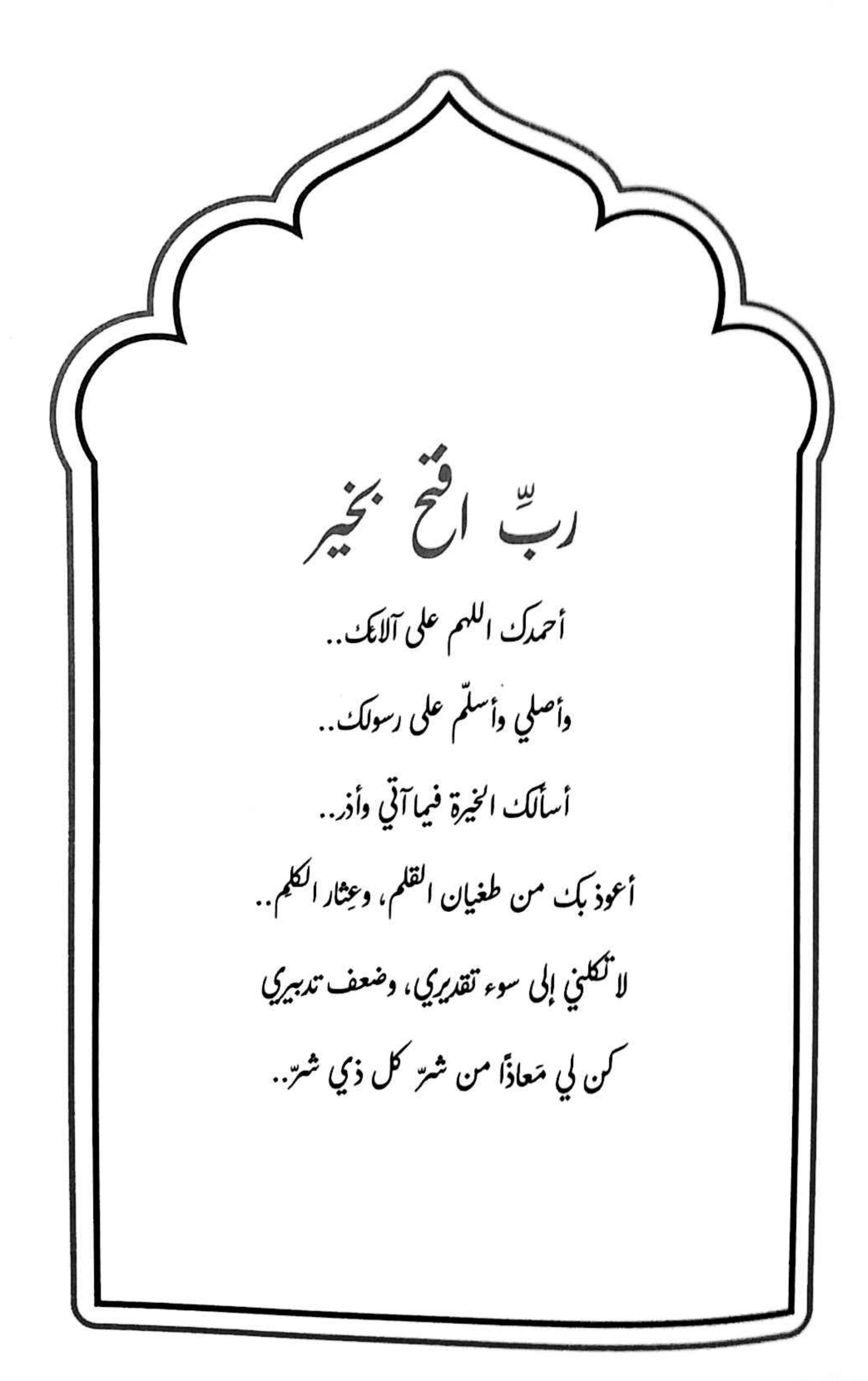
ت: ٠١٠٠٥٢٢٦٤٠٤ / ٠١١١٤٢٢٦٤٠٤

www.al3asrya.com

info@al3asrya.com

al3asrya


بسم الله الرحمن الرحيم



ربِّ افتح بخير

أحمدك اللهم على آلائك..

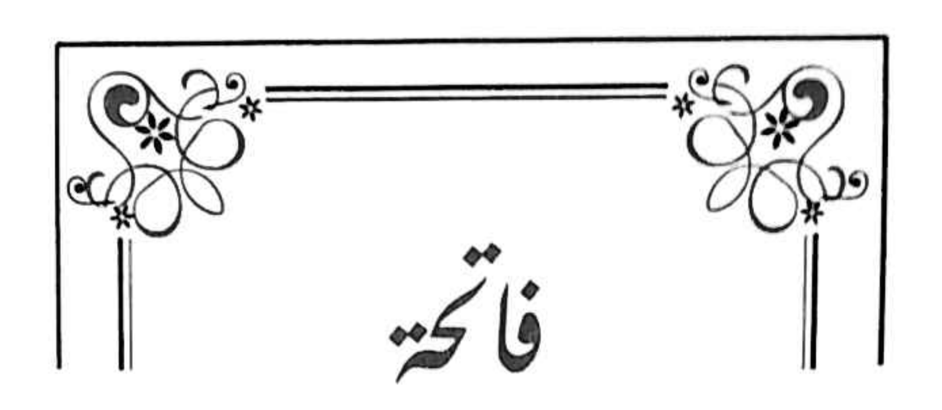
وأصلي وأسلّم على رسولك..

أسألك الخيرة فيما آتي وأذر..

أعوذ بك من طغيان القلم، وعِثار الكلِم..

لا تكلني إلى سوء تقديري، وضعف تدبيري

كن لي مَعاذاً من شرّ كل ذي شرّ..



فاتحة

لا يستريب مراقبٌ لحركة العلم والثقافة أن موضوع القراءة أصبح من الموضوعات التي يكثر تداولها والحديث عنها على نطاق واسع، سواء في كتب مفردة خاصة، أو ضمن بحوث تتعلق بالتطور العلمي والثقافي، أو في ندوات ولقاءات ومؤتمرات، أو في مناسبات ثقافية مجتمعيّة، أو مسابقات مؤسسية أو فردية، أو في مقالات وحوارات، أو في مواقع على وسائل النشر الحديثة ووسائل التواصل الاجتماعيّ.

وهذا الزخم الكبير لهذه القضية يشي بنهضةٍ علمية ثقافية مبشّرة، وعودةٍ إلى مجدٍ كان للأمة موضعُ الريادة والتقدم فيه على الأمم كلها؛ ثقافة ونهضة وحضارة وأخلاقًا.

وهذا الإقبال الملحوظ من الناشئة ومحبي العلم والرقي بالنفس يواجِهُ المهتمين بالعلم والإصلاح والثقافة بعدد كبيرة من الأسئلة والإشكالات في موضوع القراءة، سواء فيما يتعلق بالمنهج والطريقة، أو بالكتب وميزاتها وأنواعها أو المفاضلة بينها والسؤال عن طبعاتها، أو بالمؤلفين وطبقاتهم ومراتبهم،

أو بأسئلة تتعلق بطريقة الإفادة من القراءة واستثمارها، أو بتجارب مَن لهم تجربة ثرَّة وقدم راسخة في هذا الباب، واستلهام نصائحهم وإرشاداتهم... في أسئلة كثيرة يعلمها مَن تصدّىٰ لمخاطبة الجمهور واطلع علىٰ أسولتهم عبر وسائل الاتصال المختلفة.

وكنتُ قبل نحو عشرين عامًا كتبتُ كتابًا في موضوع القراءة وسمتُه بـ «المشوّق إلىٰ القراءة وطلب العلم» (والتصانيف رزق، كما عبّر بعضُ أهل العلم)، ولقي الكتاب قبولا وانتشارًا لم أكن أتوقعه، وطبع أكثر من عشر طبعات في داخل المملكة، وعدة مرات في خارجها، ولمستُ ثمرتَه فيما وصلني من الجمهور علىٰ مختلف مستوياتهم[1]؛ مِن مُتأثّر به و معرّف به و معلِّق عليه ومختصِر وشارِح و مقترِح مصحح له.

وقبل ذلك وبعده كنتُ قد ألقيتُ محاضرات وكلمات ومداخلات عن موضوع القراءة في مناسبات مختلفة وأماكن متعددة لبعض الطلاب والمهتمين بالموضوع، وكتبتُ أيضًا في مواقع التواصل الاجتماعي مُبتدِئًا كتابات كثيرة متعدد عن القراءة وما ينطوي تحتها من تفاصيل موضوعاتها، وأجبتُ عن أسئلة كثيرة ومتنوّعة أيضًا.

(١) ينظر مقدمة المشوق ص٧- ٨ .

إلى ذلـك، فقـد سُـئلت مـرارًا أن أكتـب إلـىٰ جانـب كتـابي (المشـوّق) شـيئًا يتعلـق بتوجيـه القـرّاء منهجيًّـا وأنـواع القـراءة وتقاسيمها، وما إلىٰ ذلك مما يصحح السير ويمهد الطريق لشُداة الطلاب والمثقفين ممن تشوّقوا للعلم والقراءة، فما زلتُ أرخي لنفسي العذرَ في إجابة هذا السؤال متذرّعا بالوقت حينًا، وبأنه قد كتَبَ قبلي كثيرون حينا آخر..!

والحقيقـة أيضًـا أن الخـاطر لا يـواتي للكتابـة في كـل حـين، والأمر كما قيل:

تبغي الكتابةَ في مِيعادها عجِلًا إن الكـتابةَ أنثىٰ ذات تبـريح

لهـا مِزاجٌ غـريـب في تقـلّبها فهل رأيتَ مزاج النار والريح[1]

ثـم رأيتُنـي نشـطت بعـض النشـاط لجمـع شـيء مـن ذلـك، فلملمت بعضَ أوراقي، واستجمعتُ بعضَ أفكاري، إلىٰ جانب ما سبق أن دوّنتُ منها، فنقّحتها وزدت عليها وشرحت ما يحتاج إلىٰ شرح، ورتبتهـا بحيـث اجتمعتْ ضمائم تخدم كلُّ واحدة منهـا غرضًا معينًا.

---

(١) البيتان لغازي القصيبي.

وذكرتُ في هذه الضمائم تجاربَ لي ولغيري يستضاء بها في هذا المهيع، واعتصرتُ تجارب خلاصاتٍ يُسترشد بها في هذا السبيل، تفتح آفاقـًا من العلم والمعرفة.

ولا أجد حرجـًا في القول: إن كثيرًا من هذه المقيّدات غير مرتّبة ترتيبًا محكمًا بحيث ينبني بعضُها علىٰ بعض! ووقع تَكرار قليل لا يضرّ في بعض العبارات والأفكار!

وجريت في أكثرها علىٰ ومضات تنير الطريق من غير بسط في العبارات ولا إسهاب في الشرح...

واعترافا بالفضل.. فقد كان لأسئلة الإخوة والأخوات دورٌ كبير في كثير مما كتبتُ ابتداء أو جوابًا علىٰ أحدهم... فهم شركاء لي في هذه الضمائم القرائية، فكثير من مقيّداتها استثاراتٌ لِكوامِن العلم ومذخور الثقافة وخلاصات التجربة!

وفي النهاية لا أزعم أن ما كتبتُه يحلّ كلّ الأسئلة التي تعتمل في أذهان الناشئة من القراء، ولكن كلّ ما أزعمه أني أبنتُ فيها شيئًا مما يعرض لعموم الطلاب ومحبي القراءة والمتطلعين إلىٰ المعرفة إذا هم سلكوا هذا المسلك.

وحين اجتمعت على هذا النسق رأيتُ أن أنظمها في سلك تلوَ آخر، منجّمًا في ضمائم لها عنوانات مناسبة، وهذه العنوانات لم يكن لي في اختراعها مِن يدٍ؛ لكنها هي التي أخذَتْ أمكانها، واستوضعَتْ مواضعها من هذه الأكتوبة!

وهذه عنواناتها:

الضميمة الأولى: أسئلةٌ ثلاثةٌ..

الضميمة الثانية: التقاسيم والأنواع

الضميمة الثالثة: تحسس آثار ما تقرأ

الضميمة الرابعة: عادات السادات

الضميمة الخامسة: كلمات مجرِّب وناصح

الضميمة السادسة: الكتاب من شيوخي

الضميمة السابعة: خواطر وتباريح

الضميمة الثامنة: تقييد الفوائد وفنون التقييد

الضميمة التاسعة: من لوازم الإبداع طول الانقطاع

الضميمة العاشرة: مشاهد نواضر

الضميمة الحادية عشرة: في محراب المكتبة (١-٨)

الضميمة الثانية عشرة: نوابغ التآليف

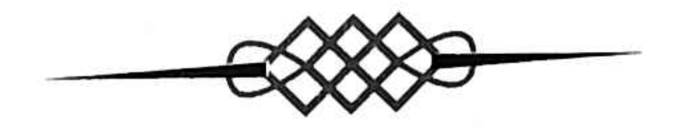
الضميمة الثالثة عشرة: ثلاثة برامج مقترحة

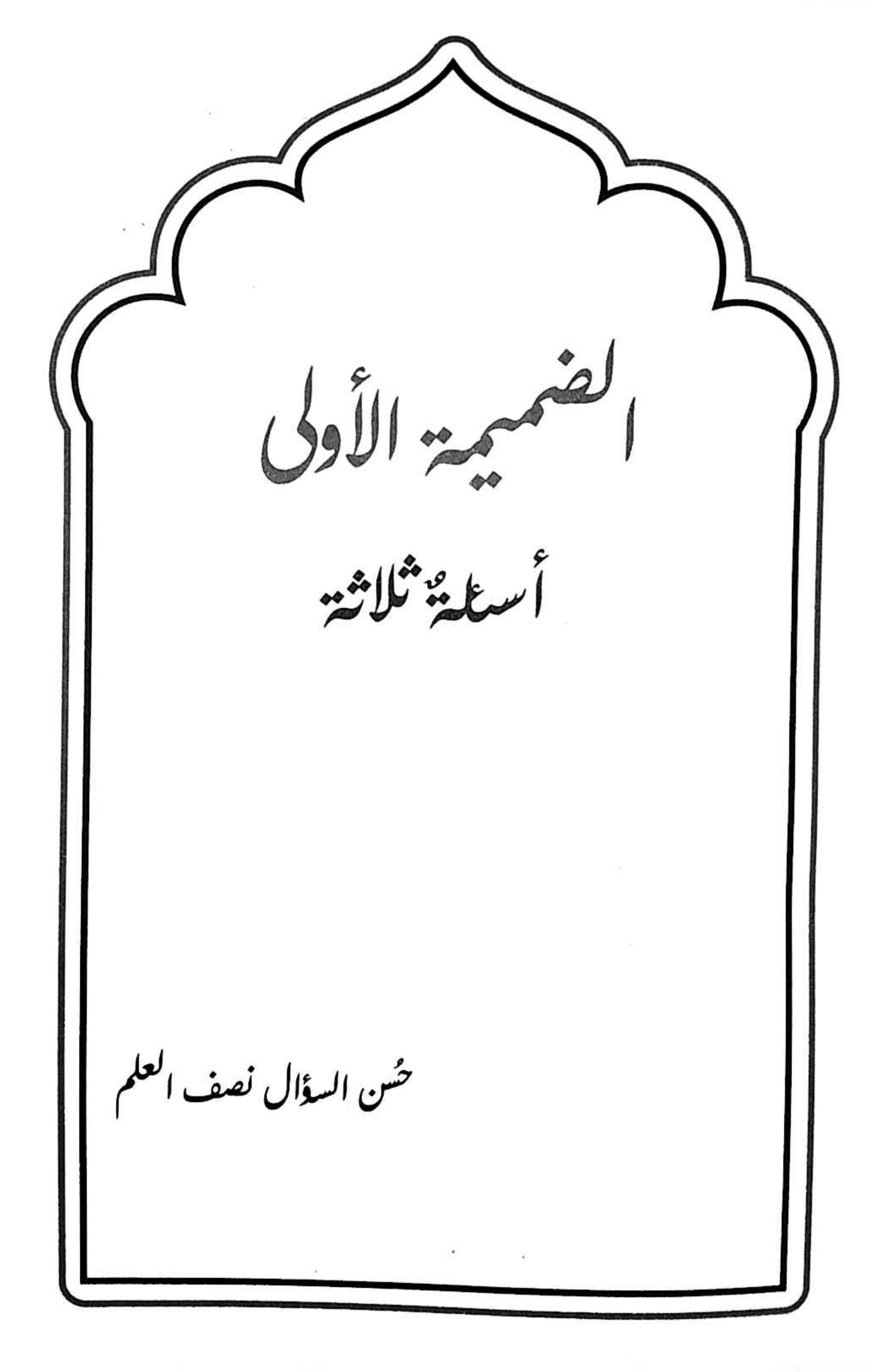
الضميمة الرابعة عشرة: معارض الكتاب، التدابير والاستثمار

علي بن محمد العمران

aliomraan@hotmail.com

@a-alemran

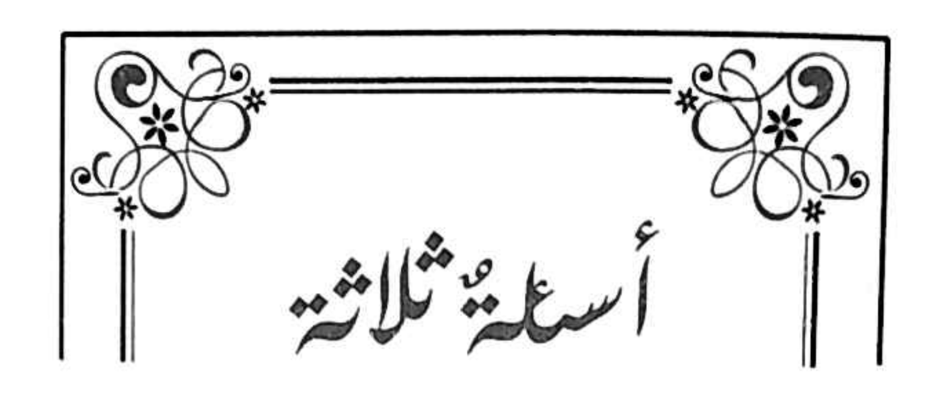




الضميمة الأولى

أسئلة ثلاثة

حسن السؤال نصف العلم



لـماذا أقرأ؟

مـاذا أقرأ؟

كيف أقرأ؟

أسئلة ثلاثة، لا يفتأ المهتمون بالقراءة عن ترداد سؤالها لكل من أنِسوا منه اهتماما بالعلم والقراءة والكتب... ولا تزال هذه الأسئلة تتكرر من شُداة العلم في مناسبات متعددة.

وهي أسئلة جديرة بالاهتمام، وجديرة بالجواب عنها، بيد أن المبالغة في تكرارها في كل مناسبة، وتلمّس سماع إجابات مختلفة أو متفقة، تناسب السائل أو تناسب طموحه باتت مشكلة بحدّ ذاتها في تصوري بدلا من أن تكون حلا..! فالأصل في السؤال أن يرفع الاستشكال لا أن يزيده استبهاما..

ولا أقول للطالب خذ أولَ جواب مِن أول متكلم، لكنني أعيب عليك أن تبقىٰ زمنا طويلا تدور حول أسئلة لماذا وماذا وكيف، رغم سماعك لإجابات كافية شافية!

ثـم رأيـت كتبًا مفـردة ألفـت في جـواب (**لماذا أقـرأ**) (**وكيف أقرأ**) (**وماذا أقرأ**).. ولعل في جوابي هنا علىٰ اقتضابه مـا يختلف عما في تيكم الكتب..!

أقول هنا بصراحة: لم يعد للسؤال الأول (لماذا أقرأ؟) طعم ولا لون ولا رائحة!

وهل بقي اليوم أحدٌ ـ وقد فشا القلمُ وانخفضت نسبة الأمية في كثير من البلدان إلىٰ أقل مستوياتها ـ لا يعلم لماذا يجب أن نقرأ؟!

بالنسبة لي صار هذا السؤال ممجوجا، لا أحبّه ولا أتقبّل سماعَه من أيّ سائل، وليعذرني مَن يقرأ هذا الكلام، فلن أجامل، ولن أتسوّل (نعم لن أتسوّل) بعد اليوم أحدًا أن يقرأ أو ليحبّ أن يقرأ أو لأن يقرأ خمس دقائق أو عشر دقائق!!

وأقول أيضًا: ربما لو سئلت هذا السؤال قبل عشرين سنة (ربما) لأجبت إجابة مباشرة في الترغيب في القراءة وبيان ثمارها وآثارها.. لكنه اليوم لم يعد سؤالا مقبولا!

هل يكفي هذا الكلام وهذه الثقة وهذا الإيمان بجدوىٰ القراءة لبيان لماذا نقرأ؟ أرجو أن تكون الإجابة بنعم، وأحسب أني قد أجبتُ بطريقة غير مباشرة ومستفزّة، تستفزّ فيك الغيرة الثقافية

المعرفية، فتنهض وقد أضربت عن سؤال (لماذا أقرأ) صفحًا واتجهت قُدُما لتكون قارئا وقارئا بحق.. هذا ما أرجو أن يصل إلى ذهن القارئ وهو يحملق بعينيه باحثًا عن جواب سؤاله: لماذا نقرأ...؟!

وها هو السؤال الثاني يستشرف للجواب... فماذا أقرأ؟

جواب هذا السؤال يصلح أن يجاب عنه بسؤال: من أنت؟

وما لم يسبق الجوابَ عن سؤال (**ماذا أقرأ**) جوابٌ عن سؤال (**مَن أنت**)، سيكون الكلام في هذا ضربا من التخرُّصات والتعميم الذي لا يريده السائل ولا يستفيد منه، وبالتالي لن يحصل على الجواب الشافي.

والجواب عن (من أنت؟) لا بد أن يتضمّن الجواب أيضا عن سؤال مهم وهو (ماذا تريد؟!)..

ماذا تريد أن تكون؟ ما طموحك، كيف هي همّتك، ما الوقت الذي ستخصصه للقراءة؟

وعليه، فلا بد للمجيب أن يعرف (من أنت وماذا تريد) حتى يجيبك عن ماذا تقرأ. ولذلك فلن أستطيع أن أجيب على هذا السؤال جوابًا يصلح للجميع، لأن الجميع ليسوا على صورة واحدة من العلم والثقافة والتطلع والوقت والذهن والظروف!

فالجواب الجُمْلي مضلّل يضيق حينًا ويتّسع حينًا آخر!

لكننا نقول للمبتدأ في القراءة: اقرأ ما يرغّبك فيها من كتب خفيفة الحجم والمادة.. من كتب القَصَص والذكريات والسير والأدب والتاريخ ونحوها.. حتىٰ تتمرس في القراءة وتحبّها.

ونقول له: حدّد وقتًا متدرجًا للقراءة من الأدنىٰ إلىٰ الأعلىٰ حتىٰ تألف القراءة وتحبها، ثم اعتكف ما شئتَ ..

ونقول لطالب العلم: اجعل الأصل في وقتك للتأصيل في الكتب العلمية التي أنت بصدد دراستها وفهمها والترقّي فيها، واجعل فضول الأوقات لما تحبّ أن تقرأ فيه..

ونقول لمبتغي مدارج الكمال في العلم: عليك بكتب الأئمة المحققين متقدمين ومتأخرين ..(راجع ضميمة نوابغ التآليف) من كتابنا هذا.

ونقول للجميع: قوّوا لغتكم وقوموا ألسنتكم، اجعلوا لكم زادًا من كتب اللغة والأدب، اقرأوا للأدباء والبلغاء، خذوا منهم قوة البيان وحُسن التعبير وجمال العرض وروعة الديباجة وانتقاء الألفاظ وخصوصية التراكيب.. ، قلّدوا ثم انطلقوا..

ونقول للجميع: ليس هناك وصفة للجميع.

وليست كل البرامج المطروحة للتداول تصلح للجميع، وما

كتبها أربابها للجميع، لكن يصلح أن يأخذ منها الجميع؛ كل واحد بما يناسب وقته وذهنه وتطلّعه وطموحه ومستواه...

وفي بعض ما سبق من جواب (ماذا أقرأ) **جوابٌ عن هذا السؤال الثالث:**

(كيف أقرأ؟)

سؤال (كيف) هذا يتعلق بالتدابير والإجراءات والبرامج.. والهمّ الذي يشغل الكثيرين اليوم ويطمحون في الوصول إليه: هو سرعة القراءة والمهارات المتعلقة بها، بغية الانتهاء من أكبر قدر من الكتب في أقصر مدة من الزمن! فلذلك نرىٰ كثرة المتحدّثين عن سرعة القراءة وعَقْد الدورات التدريبية في ذلك، وكم كلمة في الدقيقة ستقرأ؟ وكثير منها تجارب مستنسخة من ثقافة أجنبية عن ثقافتنا أراد ناقلوها تطبيقها علىٰ علاتها علىٰ كتب التراث والعلم!

صحيح أنه قد دخلت علينا من ثقافتهم أنواع من الكتب من قصة وروايات وكتب التطوير والإدارة وغيرها ما يستدعي تقنيات جديدة في القراءة.. هذا لا مانع منه بقدره وليس الاستنساخ المجرد دون فقه! كأن الطالب في حَلْبة سباق يريد الوصول إلىٰ حبل النهاية، ومَن وصل كان أول المتسابقين!

وليس الأمر في باب القراءة كذلك!

صحيح أن البعض قد يشتكي من بطء القراءة والبقاء في الصفحة وقتا أكثر من غيره، فهذا يُعالَج تأخر القراءة عنده وتُحل المشكلات التي تعترض طريق مضيّه قُدُما في الكتاب.. بأساليب وتدابير تناسب حاله، لكن لا نغرس في العقول أن سرعة القراءة هدفا بذاته..

وننبه هنا إلىٰ أن الكتب ليست علىٰ طريقة واحدة في تناولها، وبالتالي ليست علىٰ نمط واحد في طريقة قراءتها، كما هو معلوم للجميع، فلا تضع الكتبَ في سلة واحدة وتطبِّق عليها نظريّات تسريع القراءة... وكم مِن خلل جاء من وضع الشيء في غير موضعه!

وفي ضميمة (التقاسيم والأنواع) كلام مفصّل لأنواع القراءة، وفيه جواب جيد عن سؤال (كيف أقرأ) فلا أحب أن أكرر ما ستقرأه هناك.. وحسبي هنا التنبيه علىٰ ما سبق!

المهم عندي أن أقول لكل من أحبّ أن يقرأ ويستفيد: ابدأ بحب، واعرف ماذا تريد، والزم برنامجك الذي تصنعه لنفسك (تفصله أنت)، استمر ثم استمر، لا تتعجّل الثمرة، لن ترىٰ نفسك تنتقل إلىٰ الدرجة العاشرة من السلّم (وانتبه لقدميك فسُلّم العلم لا نهاية له!)، سيراك الآخرون ويخبرونك سرًّا أو جهرًا بأنك قد علوتَ... حينها تطامَن... تواضع، واعلم أنك في أول الدرجات،

وهـا قـد أصـبحت أبـا شِـبْر، فـلا تشـمخ علينـا بأنفـك وتنظـر في عِطْفيك، فتطيشُ قدمك في هواءِ العُجب فتهوي من درج السلم!

وهذا التنبيه الأخير أهـم شـيء في جـواب (كيـف)، فسِـرْ علىٰ بركة الله.. فقد علمت:

لـمـاذا؟

ومــاذا؟

وكيف؟ .... تقرأ!

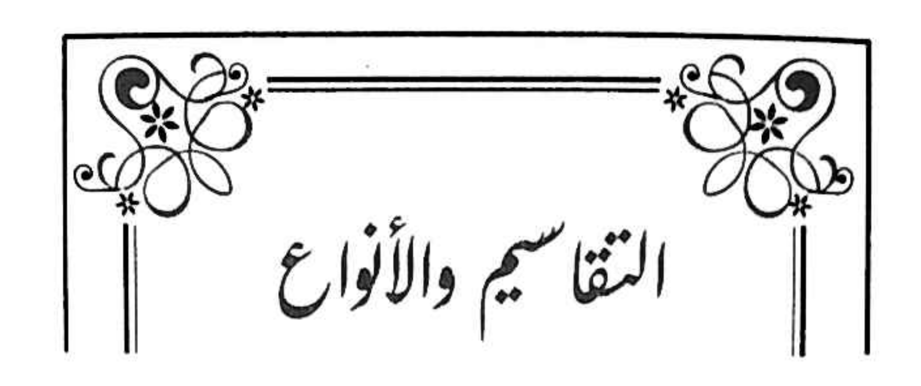




الضميمة الثانية

التقاسيم والأنواع

لكل نوع من أنواع القراءة ميزة ومجال،
تعرف على نفسك واهتمامك
لتعرف أي الأنواع يناسبها



التقاسيم والأنواع

جمعت هنا ما أسعفتني به مطالعاتي وتجاربي وما القتطته من أفواه الشيوخ ومن ذوي الخبرة من أنواع القراءة وأحوالها، مع تعريف موجز بالنوع أو الحال، مقرّبًا كلَّ ذلك بعبارة سهلة، لا أعلو فأخاطب النخبة ولا أنزل فأخاطب العامة، بل أتوسط فأخاطب الناشئ المستفيد!

القراءة التعليمية:

اقرأ الكتاب الذي يرقّيك في العلم ويفتح لك أبوابه ويحلّ مغاليقه.. وإن لم يكن ممتعًا. الكتب التعليمية ليست ممتعة بالمعنى المتبادر للمتعة، إلا إذا عشقت العلم وأصبحت تترنم: «وتمايلي طربًا لحلّ عويصةٍ»

قراءة العرض:

وهي أن تقرأ كتاب الشيخ عليه في مجلس أو مجالس، إما من نسختك أو من نسخة الشيخ، وبيد الشيخ نسخته، أو يكون حافظا لكتابه.

قـراء التصحيح:

وهـي أن تقـرأ متنًـا أو كتابـا مـن الأصـول التـي تحفـظ، علـىٰ عارف به ضابط له، بحيث يصحح لك ألفاظه قبل الحفظ. وهذه من المهمات التي يغفل عنها وقليل من يقوم بها.

قراءة الدرس والتحقيق:

وهي أن يقرأ الطالب الكتاب علىٰ مصنفه غالبا أو علىٰ من يقوم به ويتقنه ويتحقق به، ويكون فيها من التدقيق والمراجعة والإشكالات ما يكشف غوامضه ويحل إشكالاته.

القراءة الحـرّة:

اقرأ ما شئت، واجعل وجهتك نحو: ما يُفيد ويمتع في آنٍ معا.

أمـا مصـطلح (الفوضـىٰ الخلّاقـة في القـراءة) الـذي ابتكـره الأستاذ الصديق عبد الله الهدلق، يصلح لطائفة من الناس لا تنجع معها البرامج ولا المحدّدات، تحب التحليق والانطلاق بلا قيود، فهذا اللون لهذا النوع من القُرّاء، وإن كنت أحبّ لهم (إن كان لي من رأي مسموع) أن يُحْكِموا الأصول العلمية ليحلّقوا بجناحين قويين لا تُطيح بهما رياحُ الأفكار الضعيفة، ولا تفسدهما عوادي الجوارح المتربّصة!

القراءة التاريخية لمسألة أو موضوع ما:

خذ سبعة مراجع -مثلا- ورتّبها بحسب وفَيَات مؤلفيها، واقرأها تراتبيًّا من الأقدم إلىٰ الأحدث، وقيّد ملاحظاتك ومقارناتك، ستجد فوائد جليلة جديدة.

القراءة العميقة:

تعرّف علىٰ عصر المؤلف، غُص في ترجمته، تمكّن من خصائص أسلوبه، ادخل في أعماق النص، حلل، ناقش، قارنه بنظائره، اربط أفكار الكتاب... إذا استجمَعْتَ ذلك أو أكثره فها قد صرتَ في العمق أو كدت.

القراءة الواعية:

هي القراءة بتأمل وفهم، وهذا النوع هو الذي يولّد الإشكالات والأسولة العلمية، وبجواباتها تتحرّر المسائل وتُفتح مغاليق العلوم.

القراءة الانتقائية:

اختر فصلًا أو مبحثًا معينًا من الكتاب (ربما هو الجديد فيه) ليكون مادة قراءتك، فليس شرطا أن تقرأ كل كتاب من غلافه إلىٰ غلافه.

القراءة النقدية (للمتأهل أو المختصّ):

ضع مبضع النقد علىٰ كلام المؤلف، راجع مصادره، تأكد من نقوله، افحص استدلالاته، زِن تحليلاته، قارن كلامه بنظائره... كل ذلك في جوّ من الإنصاف.

القراءة المنتجة (أو المثمرة)[1]:

لا تقرأ أي كتاب إلا بعد أن تضع لك مشروعا أو مشاريع تأليفية أو بحثية.. اقرأ وقيّد ما يمر بك بخصوصها (ستأتي طرق التقييد)، سيجتمع لديك مع الوقت ما يندر مثاله.

خذ مثالا على ذلك: معجم المناهي اللفظية للعلامة بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو من أعاجيب الكتب في هذا، وكان ضربًا من الخيال أن يؤلفه الشيخ بهذه السعة في المصادر والمادة لو لم تكن فكرة التقييد حاضرة في ذهنه.

القراءة المُغرضة (أو المُمْرضة):

اقرأ.. وأنت مغمض العينين عن أي جميل، مفتوح العينين علىٰ أيّ عيب مهما دق، تمحّل، تحايل، تحامَل، ضع حُسْن الظن جانبًا= ها قد استجمع البعيدُ صفات السوء ووصل إلىٰ القمة!

---

(١) للدكتور عبدالكريم بكار كتاب بهذا العنوان (القراءة المثمرة) مفيد في بابه.

نعيذكم بالله من هذه القراءة ومن أهلها.

القراءة الوسائدية:

ضع كتابًا تحت الوسادة، لطيف الحجم، سهل المبنىٰ، قريب التناوُل، وانظر فيه قبيل النوم بدقائق... ستنهي كتبًا، خير لك من إضاعة الوقت في تصفح المحمول فيما لا نفع فيه!

إذا كان هذا النوع من القراءة سيسبب لكَ أو لكِ مشكلات عائلية فدعها ونم، فالنوم خير حينئذ من النظر في صفحات قد تتحول إلىٰ مأساة، ودعواتي لكل صاحبَين متنافِرَي الثقافة والطباع والأخلاق!

قراءة التكرار (أو الحال المرتحل):

هي أن تديم القراءة والنظر في كتاب معيّن، كلما انتهيتَ منه عدتَ إليه، وقد كرر العلماء كتبا أكثر من ٧٠٠ مرة وربما ألف مرة.

قراءة التصفّح:

وهو ما يمكن أن يسمىٰ بالمسح الشامل للكتاب بأن تقلّبه صفحة صفحة دون قراءة ولا تمعّن بل للاطلاع عليه ومعرفة مباحثه وفهارسه، ومعرفة موقعه ومكانته واقتناص صيوده السريعة، يفعلها ابن حجر في مجالسه مع الناس[١].

(١) ذكره السخاوي في الجواهر والدرر.

قراءة الجَرْد[1]:

حدد ثلاث ساعات أو تزيد، في غرفة مغلقة، بصحبة كتاب كبير (تاريخي - أدبي - موسوعي)، وقلم، بلا هاتف أو هاتف مغلق، اقرأ المقاطع وليس الأسطر، أشر بالقلم (أو الأقلام الملونة)[2] لما تنتقيه، ستنهي مجلدًا كاملا أو يزيد في جلسة.

وصف قراءة الجرد: اقرأ الكتاب بالمقاطع (أو الفقرات) ليس كلمة كلمة ولا سطرا سطرا... هذا نوع من أنواع قراءة الجرد.. وهي تختلف من كتاب إلىٰ آخر.

قراءة النَّخْل:

أن تأتي علىٰ الكتاب فتنخله نخلًا، فلا تبق فائدة صالحة للتقييد إلا اقتنصتها وسجلتها. وهذا المصطلح سمعته من شيخنا بكر أبوزيد ـ علىٰ جدَثه سحائب الرحمة والرضوان ـ.

---

(١) انظر مقالا مفيدا في قراءة الجرد للأستاذ إبراهيم السكران علىٰ موقع صيد الفوائد.

(٢) وإن كنت لا أفضل هذه الطريقة، لأنها تفسد الكتاب، إلا إن كان لك نسختان نسخة للقراءة ونسخة للمراجعة.

قراءة المقارنة:

اختر كتابًا في باب أو فن ما، قارنه بنظائره في الباب أو الفن (وللاختيار ضوابطه)، سجّل نتائج المقارنة، ستجد فوائد لن تتوقعها.

قراءة الهذّ:

وهي قراءة سريعة جدا لا يتبين القارئ ما يخرج من فمه الحروف والكلمات فضلا عن الشيخ أو السامعين، وهذه القراءة هدفها السماع المجرّد بالغ الذهبي في ذمّها في رسالة زغل العلم[1]، وكثر هذا النوع من القراءة في هذه الأوقات المتأخرة من بعض الطلاب الذين يبحثون عن الإجازات السريعة وغرض القارئ بها ختم الكتاب في أسرع وقت. وهي مذمومة.

هذه أنواع من القراءة وبعض أحوال القارئين، فاختر لنفسك ما يليق بها، وجرّب منها ما تتمكن من تجربته، وانظر في نفعه وعائدته.. وأفد إخوانك ومن يثق بك أو يلوذ بك، وانقل تجاربك ليعم النفع.

(١) ص ٧٣- ٧٥.

تنبيهــات

* القراءة من أجل البناء العلمي شيء ومن أجل المعرفة العامة أو المتعة أو التسلية شيء آخر.. فلكلّ محدّدات وضوابط ينبغي للسالك مراعاتها.

* **القارئ الجادّ**: عليه أن يقرأ قراءة الدارس المتعلّم لا قراءة المتنزّه المتفرّج، ولا يمنعه فَهْم ما فهمه مِن معاودته وترديد النظر فيه.

* مِن أحسن السبل لفهم العلم: أن يُقرأ الكتابُ قراءةَ دَرْس وتحقيق، لا قراءَة سماعٍ وجرد.

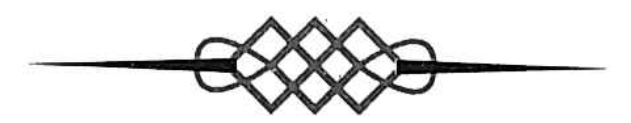
* يمكن للطالب أن يقرأ المتن المراد فهمه نوعين من القراءة: قراءة شرح موجز وفكّ عبارات، وقراءة درس وتحقيق وتدقيق.. تلك تُصوِّر المسائل، وهذه تُحَقِّقها.

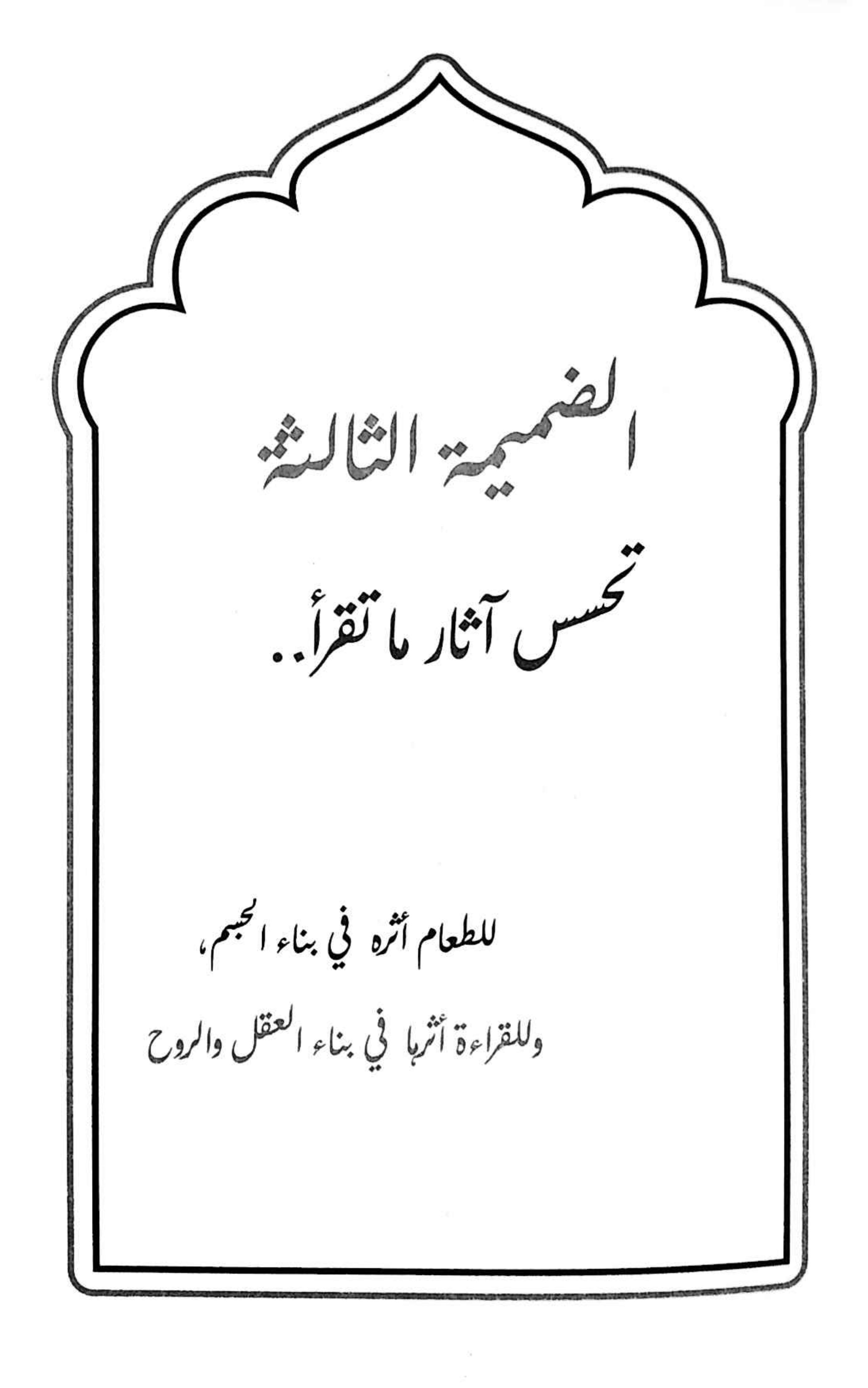
* لا تُعامل كلَّ الكتب معاملةً واحدة .. لكل كتاب ذوقٌ خاص به .. (هل جربت..؟)

* بعض الكتب يحسن بنا قراءتها كلمةً كلمةً، فإن في «كلِّ ذرةٍ منها دُرّة» كما قال السبكي، وبعض الكتب يكفيك أن تمرّ عليها تصفّحًا سريعًا... ولا تحتاج إلىٰ أكثر من ذلك.

* بعض الكتب إذا جلستَ بحضرتها كأنك جالس على وليمة دسمة .. وبعضها كأن بين يديك (شطيرة خفيفة)، فاعط لكل ذي قدرٍ قدره!

* القراءة من الكتاب تضعه بين يديك تقلّب صفحاتِه تتحسّس حروفَه، تغلقه للتأمل، وتفتحه لتعاود النظر= لذة لا يَعْدِلها شيء، وفيها كل الميزات.. وأما القراءة الالكترونية فللضرورة أو عند فَقْد الكتاب المطبوع، أو صعوبة تحصيلة وغلاء ثمنه.



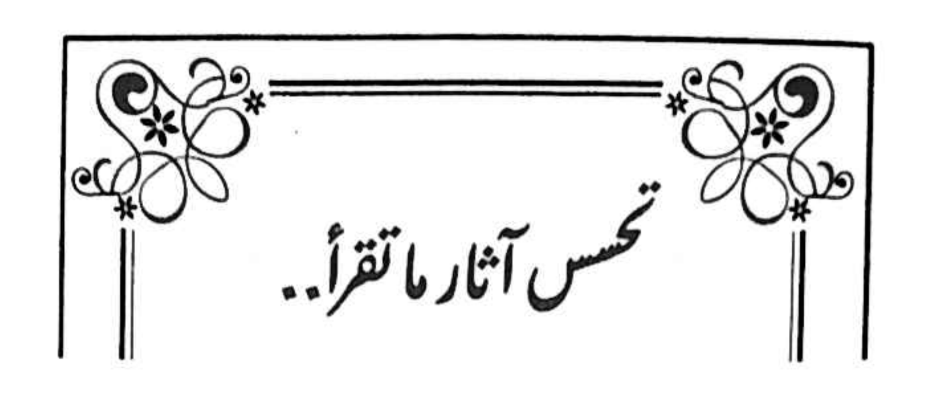


الضميمة الثالثة

تحسس آثار ما تقرأ..

للطعام أثره في بناء الجسم،

وللقراءة أثرها في بناء العقل والروح



كل كتاب قد تملّ من النظر فيه إلا كتاب واحد (**الكتاب العظيم**)، فإنه لا يبلىٰ علىٰ كثرةِ الردّ، ولا يشبع منه العلماء، ويزيد بترداده بهاء وجمالًا، فخذ بنصيبك منه قراءة وتدبرًا وتأمّلا، ويمكن أن تجعل لك معه أورادًا ثلاثة، وِرْدا للقراءة والختم، وهذا لا يزيد علىٰ الأربعين يومًا، وورداً للتأملِ والتدبر، وليكن ختمه كل عام، وورداً لا ينقضي طول العمر..

القراءة في (**صحيح البخاري ومسلم**) تُشْعرك بأنك في مجلس من مجالس رسول الله ﷺ (مجالس النور)، فلا تفوّت ذاك المجلس، وليكن لك نصيب يومي أو أسبوعيّ منهما.

القراءة في كتب **التاريخ** تزيد في العقل، **قال الشافعي**: من قرأ التاريخ زاد عقلُه[1].

---

(١) الإعلان بالتوبيخ ص١٣.

القراءة في (سير أعلام النبلاء) للذهبي شيء.. والقراءة في غيره من كتب التراجم شيء آخر.. وُفّق الذهبي في كتابه هذا[١] وتألّق وتأنّق ما شاء الله له! فالقراءة فيه لها ذوق آخر!

القراءة في (كتب شيخ الإسلام ابن تيمية) تفتح لك آفاقًا مِن العلم والمعرفة لا تجدها عند غيره في غالب فنون العلم والمعرفة، بل كلامه العادي يكاد يكون دررًا لسعة اطلاعه وطول باعه. لكن لا تهجم عليها قبل أن يصلب عودك في التأصيل، ولا تتهيب القراءة فيها ظنا أنها صعبة الفهم، تدرّج فيها، واترك ما عسر عليك لحين وقته.

القراءة في كتب ابن القيّم تنظّم لك أفكار ابن تيمية. وقد كتبت ورقة فيها ترتيب مقترح لقراءة كتب ابن القيم، مرفقة في آخر هذا الكتاب..

القراءة في (كتب القدماء) لها طعم خاص، ككتب الشافعي فقد قال الجاحظ وهو من هو في البلاغة: (كأنه ينظم الدرّ) [٢]، ومقدمة مسلم لصحيحه، ومقدمات كتب ابن قتيبة، وكتب الجاحظ وابن المقفع.

---

(١) كل كتبه له فيها نَفَس الناقد المحقق، لكن (السيَر) أظهرها وأبرزها.

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٥١/ ٣٧٠.

وصفة طبية: القراءة في كتب الشوكاني (الفقهية) تكسر بعض جمود المتفقهة!

القراءة في (**المحلى لابن حزم**) تنفع المتفقّه المنتهي، وتفسد الطويلب المبتدي، قد علم كلُّ أُناس مشربَهم!

القراءة في كتب المجاميع الأدبية القديمة، وفي نثر الجاحظ والتوحيدي (مع الحذر من مذهبهما) تشعرنا بجمال اللغة وبراعتها، وتوقظ فينا الحس الأدبي.. إن بقي لدينا ما يوقظ!

القراءة في دواوين السنة تعلمك بلاغة القول وسهولة اللغة وجمالها في آن معا، بعيدا عن زخارف البلاغيين، تأمل قصة الإفك وحديث عائشة، وتأمل حديث كعب بن مالك وانهل من بلاغة القوم.. ولابن الأثير كتاب منال الطالب جدير بالمطالعة.

القراءة في (كتب علي الطنطاوي، وزكي مبارك والمازني) تُشْعِرك بالقدرة على الكتابة والعجز عنها في آنٍ معا..! وهذا ما نعبّر عنه بالسهل الممتنع، تقرأ له فتشعر بقرب كتابته وسهولة أسلوبه؛ وكأنه يتحدّث إليك ويسامرك، لكن ما إن تذهب إلى محاكاته حتى يتعثّر القلم ويكلّ عن الاسترسال.

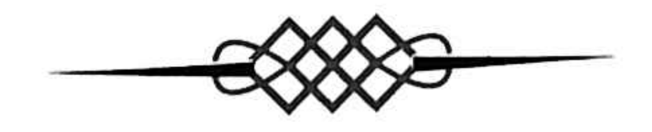
ويحسن بالفقيه أن يقرأ تراجم الفقهاء، وعلى رأسها ذيل الطبقات لابن رجب وطبقات الشافعية للسبكي وترتيب المدارك لعياض والجواهر المضيّة للقرشي..

وللمشتغل بالتفسير أن يقرأ طبقات المفسرين للداوودي، ولعادل نويهض... وهكذا.

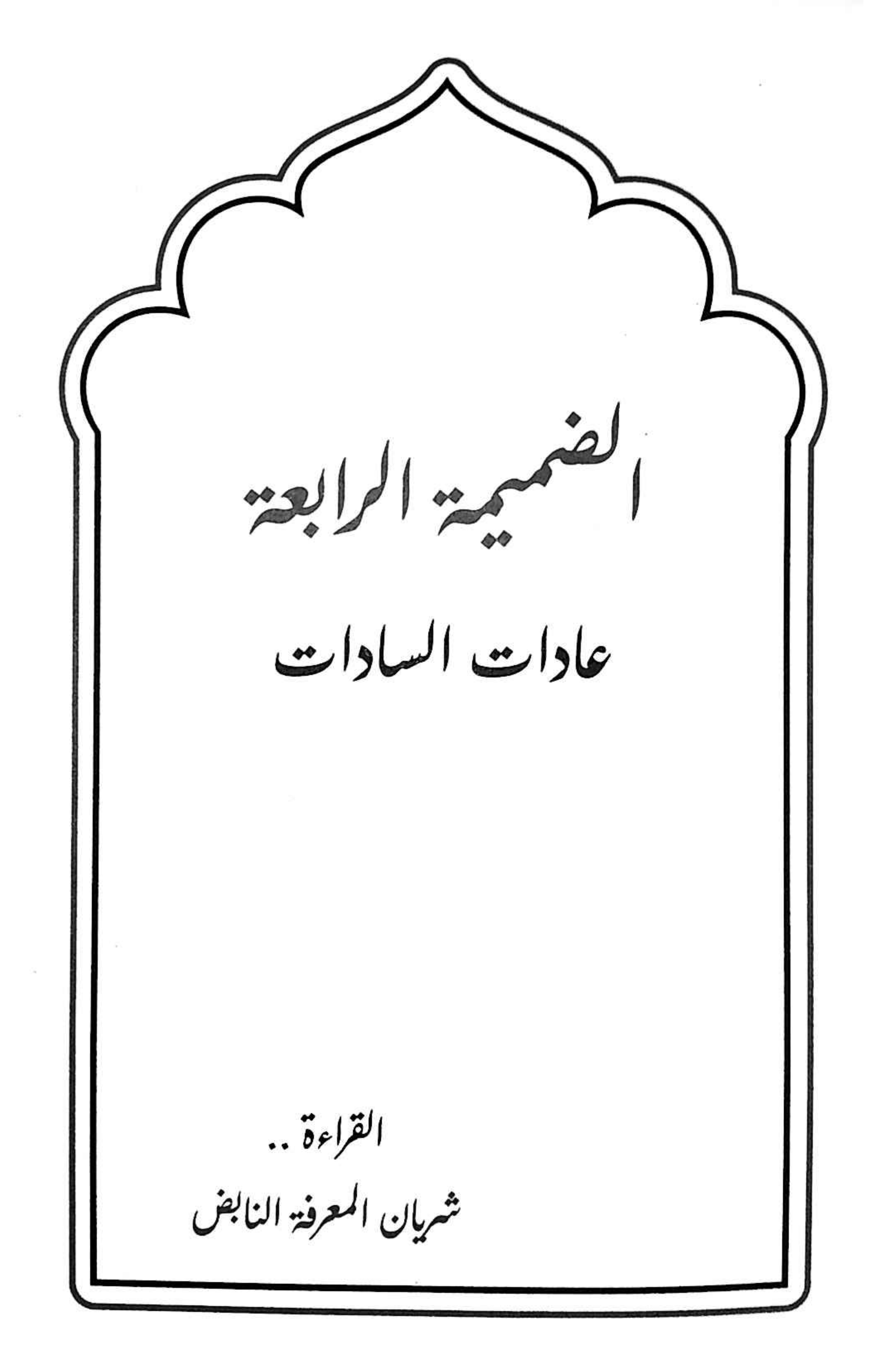
ويحسن بالأديب أن يقرأ تراجم الأدباء، وعلىٰ رأسها معجم الأدباء لياقوت، والشعر والشعراء لابن قتيبة، ووفيات الأعيان..

ويحسن بالنحوي أن يقرأ تراجم النحاة، وعلىٰ رأسها إنباه الرواة للقفطي، وبغية الوعاة للسيوطي.

اقرأ هذه الكتب ..سيحصّل منها المختص فوائد لا يجدها في كتب العلم، وقد يجد فيها مسائل نادرة غريبة في فنه[1]، فضلا عن تعرّفه علىٰ أعلام الفنون ومراتبهم وطبقاتهم، وغوصه في تراجمهم وحيواتهم وتلاميذهم وظروفهم المعيشية، ومواقفهم في الأحداث والنوازل، ومؤلفاتهم التي لم تصل إلينا وحواراتهم.. كل أولئك له أثره في عقل العالم.



(١) نقل ابن القيم في (زاد المعاد ٥/ ٢٥٦- بتحقيقي) قولا في مذهب الشافعي من طبقات الشافعية للعبادي، وقال: إن أكثر الشافعية لا تعرفه ولا تعرف مظنته ولا من قاله.

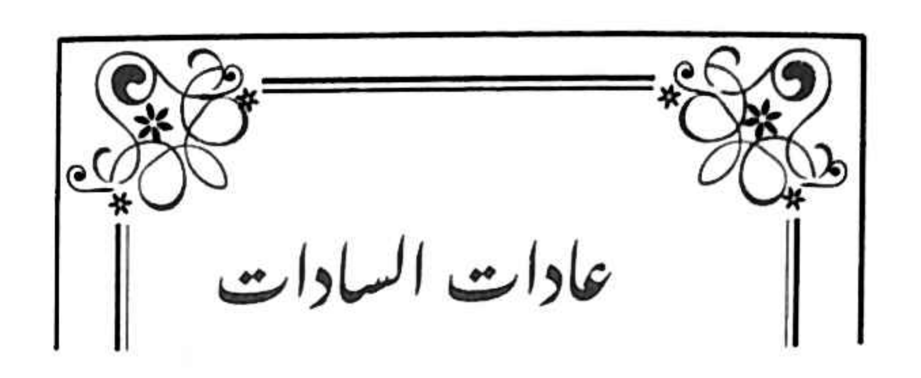


الضميمة الرابعة

عادات السادات

القراءة ..

شريان المعرفة النابض



عادات السادات

لعشّاق القراءة والمحبين لها والمفتتنين بالكتاب عاداتٌ قِرائية عُرفت في تراجمهم وسيرهم العطرة... كما أن للكُتّاب عادات كتابية ذكروها عن أنفسهم، وتكلَّم عنها غيرُ واحد في مقالات وكتب منشورة مشهورة.

ولستُ بصدد جمع ما لهم في ذلك من أحوال، وما جاء في تراجمهم من قَصَص وطرائف ونوادر، فقد تكفّلَتْ بها كتبٌ منها كتابي (المشوق إلىٰ القراءة وطلب العلم)، و(الكتاب في الحضارة الإسلامية) ليحيىٰ الجبوري، و(الكتاب في الحضارة الإسلامية) أيضًا لعبد الله الحبشي وغيرها...

لكني سأذكر عنواناتٍ منها وصورةً أو صورتين تنبيك عن ما في الباب من عادات للسادات:

محبة الكتب والغرام بها، والقصص في هذا لا يحويها كتابٌ جامع، أذْكُر منها خبر أبي العلاء الهَمَذاني وقصة بيع بيته ليحصل علىٰ مكتبة عالم توفي وعُرِضت كتبه للبيع، ومثله ابن الخشّاب

النحوي، وابن الجوزي إذا يقول: إذا وقفت علىٰ كتاب لم أره فكأنما وقفتُ علىٰ كنز!

المكتبة الواسعة، كان كثير من العلماء من ذوي المكتبات الواسعة الكبيرة، ومَن لم تسعفه مكتبته كان له مع المكتبات الوقفية بديل عن عوز مكتبته..، فهذا ابن القيم واسع المكتبة بكل نفيس، باع منها أولادُه بعد موته دهرًا، وكان يشتري مكتبات العلماء ويمتلك الأصول الحِسان، وكذلك شيخه ابن تيمية، وابن الخشاب والعراقي وابن حجر وأبو العلاء الهَمَذاني، وابن الجوزي، والقفطي (طالِع كتابَه إنباه الرواة تجد عجبًا)، ومرتضىٰ الزبيدي، والبغدادي صاحب الخزانة، وشيخه الشهاب الخفاجي، وعبد الحي الكتاني، وأحمد تيمور باشا، وغيرهم..

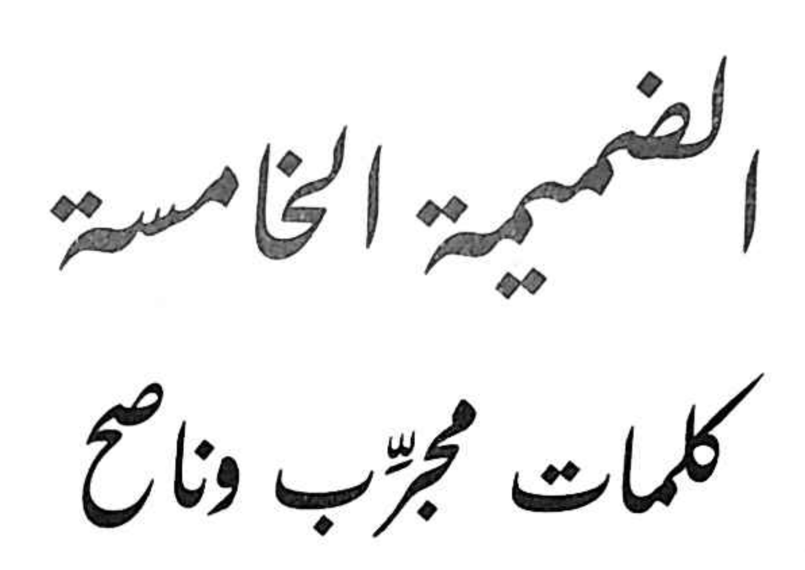
ومن عادات هؤلاء السادات:

تكرار الكتاب الواحد مرات عديدة؛ فكانوا يختمون الكتاب مرارًا وتَكرارًا ويصطحبونه حضرًا وسفرًا، وقد حفظَتْ لنا الكتبُ من ذلك الكثير، فقد كرر ابن عطية صحيح البخاري سبعمائة مرة. وقرأه مقابلةً علىٰ عدة نسخ الإمامُ اليونينيُّ في سنة واحدة إحدىٰ عشرة مرة، ونَسَخه النويريُّ من نسخة اليونيني هذه سبع مرات! (عندي منها اثنتان).

ومن عاداتهم الحميدة: **تدريس الكتاب الواحد مرات وكرات**، فيكون خبيرًا بالكتاب وبمشكلاته وحلّ معضلاته، فينصب نفسَه للطلاب وإفادتهم السنين الطوال، منهم: الكافيَجي نسبة إلىٰ الكافية والمنهاجي نسبة إلىٰ المنهاج للنووي لُقّب به الإمام الزركشي لأنه حفظه في صغره.

وعادة أخرى حميدة: **وهي ختم المجلدات العظيمة في مدة وجيزة**، فيختمون الكتاب الضخم في مجالس معدودة بقراءة بيّنة فصيحة محررة، في صبر منقطع النظير من الشيخ والتلاميذ، ولهم في ذلك دواعٍ ليس هذا مجال الحديث عنها، منها إدراك حياة الشيخ لأنه من المعمرين، أو لسفره، أو لسفر الطالب ورحلته، أو غيرها من الدواعي...

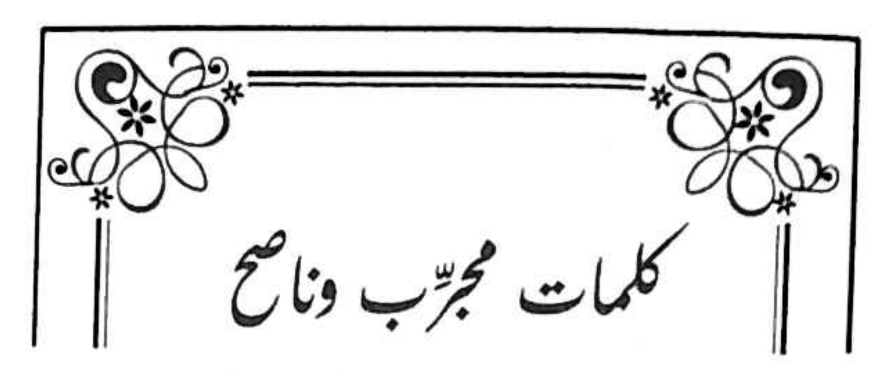
ومنها: **جَرْد الكتب واستخراج فوائدها**، وهي عادة لا تكاد تنخرم من عموم العلماء وطلابْ العلم، وما من عالم إلا وله دفاتر كثيرة أو قليلة يقيّد فيها لنفسه فوائد ما يقرأ، وهذه (تذكرة المقريزي) في ثمانين مجلدا والدغولي في أربعمئة مجلد، والصفدي تزيد علىٰ الثلاثين منها أجزاء في عدة مكتبات، وأخيرًا اكتشفت أجزاء منها في مكتبة البساطي الخاصة في المدينة النبوية، واكتشفت أيضا تذكرة السيوطي مؤخرا، وتذكرة ابن عرِاق صاحب تنزيه الشريعة، وتذكرة المعلّمي نحو ثلاثين مجلدا...



القراءة عملية تبادلية:

اعط الكتاب وقتك واهتمامك..

يلق إليك مقاليد علومه وأسرار معارفه.



تعرّف علىٰ مؤلف الكتاب قبل أن تبدأ فيه، ستكتشف أشياء كثيرة تفتح لك آفاقًا مِن فهم أفكاره وتحليل اختياراته.

أرِح نفسك من القراءة بالقراءة.

بالقراءة الخفيفة المنعشة، من عناء القراءة الجادة.

ليس بالضرورة أن تمتلك مهارة سرعة القراءة، لكن من الضروري أن تكون دائم القراءة.

القراءةُ الواعية الناقدة أمانٌ في كثير من الأحيان من التبعيّة المجرّدة للحجج الخادعة.

لأبي عبد الرحمن بن عقيل الظاهري خطة للتثقيف: يوم للثقافة ويومان للتبحّر والتأمّل[1].

جميلٌ أن تتعلّم مِن وسائل التواصل (تويتر، الفيس بوك، الواتساب) سرعةَ القراءة ...لكن حَذَارِ أن تعلّمك سرعة النقد.

---

(١) الفنون الصغرىٰ – السفر الخامس ١٨١، وهو مضمن في كتابي مقالات كبار الكُتّاب.

بعـض الكتـب كـالبحر.. لا ينبغـي أن يتقحّمـه إلا المـاهر المجيد.

إن كـان للكتـاب مقدمـة نافعـة فاقرأهـا باهتمـام، تُفْـتَـح لـك مغاليق الكتاب، وإن كانت تقليدية أو هزيلة فَجُزْها غير مأسوف عليها، وما أكثر الهزال!

حثُّ الناس على القراءة وحبّ الاطلاع مهم .. والأهـمّ منه تبصيرهم بكيفية استثمار القراءة ووجوه الانتفاع بها.

مع كثرة الكتـب وكثـرة الجيـد منهـا... لا وقـت لتضيعه في قراءة الكتب الضعيفة في مادتها أو أسلوبها.

الوقت لا يكفي لقراءة الكتب الجيدة المفيـدة.. فلا تهدره في قراءة الضعيف منها والهزيل.

إذا أردت أن تنتفع بالقراءة: فأمْسِك الكتـابَ بيـدِ الحـريص، والقلم بالأخرى، واقرأ بعينين لمّاحتين؛ إحداهما تلتقط والأخرى تنتقد.

إذا ما بدأ المرء القراءة من منتصف الكتاب، وشعر برغبة في الاستمرار، لا تدعه يقف ويعود من البداية، إذ ربما تخبو رغبته بالقراءة..[1] (جونسون)

---

(١) جرّبتها في بعض الكتب، فكانت ناجعة، ثم عدت للكتاب من أوله! وهذه حيلة يمكن استعمالها مع النفس في بعض الكتب.

إذا أكثر طالبُ العلم في ابتداء أمره من المشاورة .. أكثر بالتالي من التنقُّل بين الفنون وبين الكتب وبين الشيوخ.. فيمضي عليه الزمانُ في التنقل لا في التأهّل !

أولى الكتب بالقراءة في بداية الطلب: تلك التي تعلمك الأدب، كتذكرة السامع والمتكلّم لابن جماعة، وحلية طالب العلم لبكر أبو زيد، ومعالم في طريق طلب العلم للسدحان وغيرها..

من السبل المعينة على فهم العلم أو الكتب أو القضايا الفكرية= مذاكرتُها مع الزملاء والأقران، وعقد لقاءات في مناقشتها وتحليلها، وتعميق البحث فيها.

لا يكن همك الأول (متىٰ) أنتهي من الكتاب ..بقدر ما يكون (كيف) أستفيد منه..!

لا تنظر في مكتبتك إلى عدد الكتب التي لم تقرأها، فإن مجرد تخيُّل العدد قد يصيبك بالإحباط! لكن حدّد ما ستقرؤه في اليوم في الشهر في السنة... وأبدأ بعزم وإنجاز ستشعر بالرضا.

جميل أن تقرأ بشغف واهتمام.. لكن لا تسْلِم نفسَك للكتاب.. بل اجعل الكتابَ يُسْلِم فوائدَه إليك.

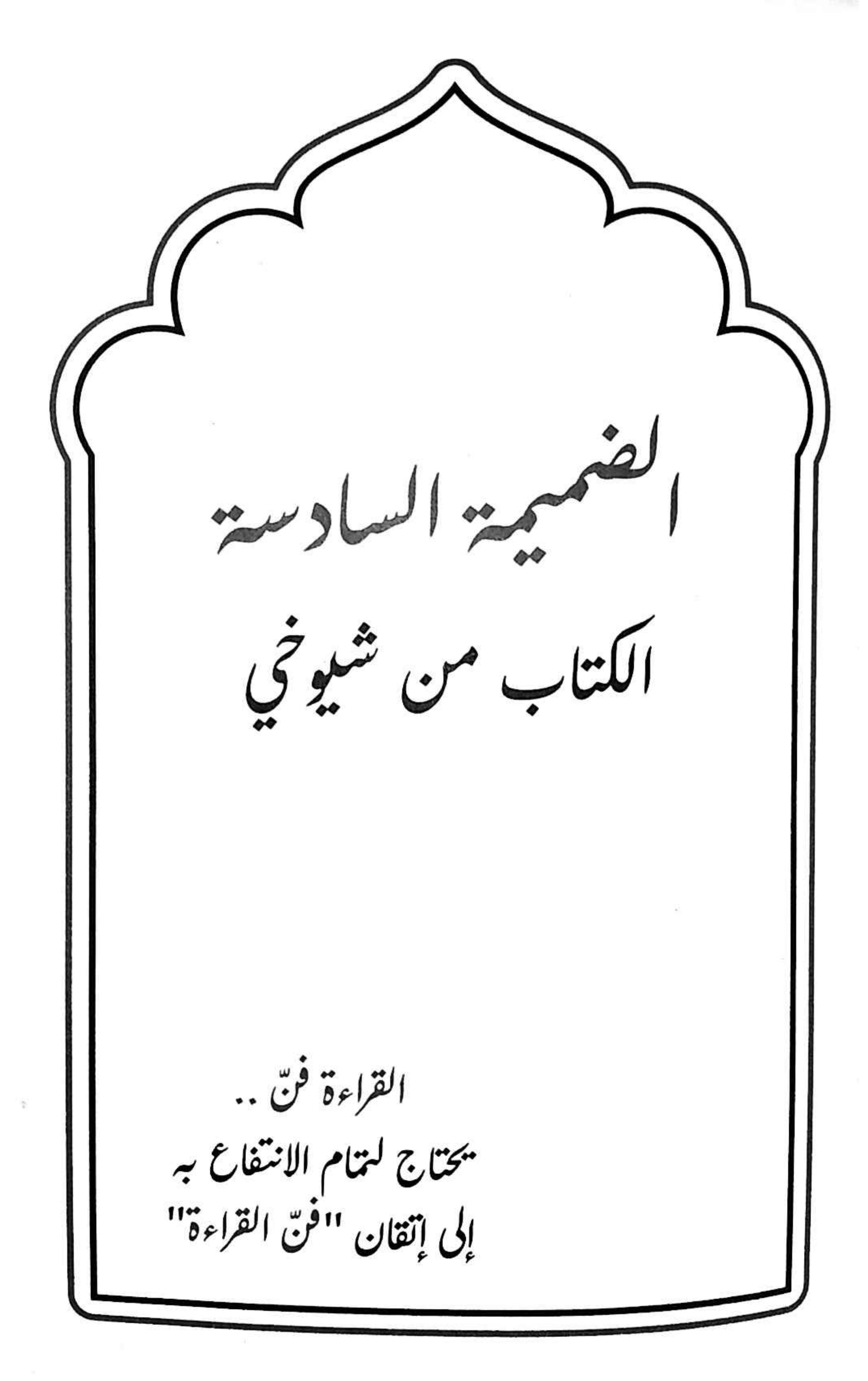
لا تكن أمام الكتاب أو الكاتب كالميت بين يدي مُغسّله، اقرأ ببصيرة ونظر وتأمل..

خطط قبل القراءة: أنك لن تعود لهذا الكتاب مرة أخرىٰ، فإن ذلك يدعوك لاستيفاء فوائده، والحرص علىٰ فهمه، والسؤال عما يُشكل عليك فيه.

لا يلزم ذلك ألا تعود إليه، ولكننا في أحيان كثيرة نأخذ بالعزائم تحسّبًا..

بعض الكتب تغريك لتقرأها من جديد، وبعضها تصدّك عن إكمالها، وبعضها أنت من تحتاج إلىٰ قراءتها مرة ومرتين وثلاث..!





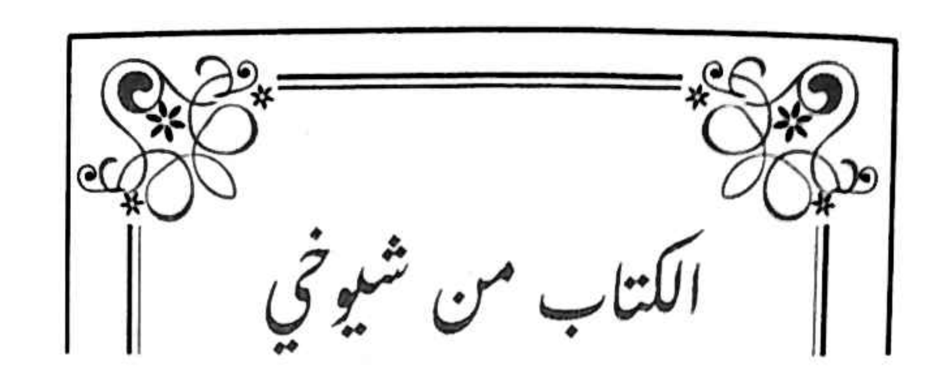
الضميمة السادسة

الكتاب من شيوخي

القراءة فنّ ..

يحتاج لتمام الانتفاع به

إلى إتقان "فنّ القراءة"



الكتاب من شيوخي

علمتني الكتب: ما لم تعلمني الشيوخ!

علمتني الدنيا (تجارب محدودة) وقرأت في الكتب تجارب التاريخ بلا حدود!

علمتني الكتب: أنه ينبغي إعادة النظر في مقولة: "من كان شيخه كتابه فخطؤه أكثر من صوابه"، وأنه ينبغي تقييدها بوقت دون وقت، وشخص دون شخص.

علمتني الكتب: أن أستنطقَ سطورَها وكلماتِها وحروفَها، لأعيش مع المؤلف أحاسيسَه واهتماماتِه وظروفَ تأليفه، ودوافعه للكتابة.

علمتني الكتب: أن أبحث في زواياها وخباياها .. فهناك تختبئ الدرر والأعلاق الثمينة.

علمتني الكتب: أنها الرفيق طول الوقت، أدفع مهرَها أول الأمر.. فتخدمني طول العمر، بل كما قال الجاحظ عن الكتاب: (يفيدك ولا يستفيد منك، إن جدّ فعبرة وإن مزح فنزهة)..

وهـل يصـح مقارنتها بـأيّ رفيـق أو صـاحب؟ كـ(المـرأة أو الصـديق)؟ فـإن الرجـل يـدفع مهـرَ المـرأة ويخـدمها العمـر كلـه... وتخدمه بعـض الوقـت وتنكـره إذا حـزب أمـر دهـره كلـه ..؟! وإن الرجلَ تصاحبُه الدهرَ ثم يتنكّر لك لموقف أو لغير شـيء؟ أتسـاءل فقط!!

علمتني الكتب: أن أبذل في تحصيلها كل ثمن، لتعطينـي مـا لا يقدّر بثمن!

علمتني الكتب: أن الإدمـان علىٰ شـرائها وقراءتهـا وصـحبتها خير علاج للبطالة ولمشكلات الشباب: الفراغ والجِدَة، ولصـحبة السوء!

علمتني الكتب: أن كتابًا ربما يعدل ألفَ كتاب، كما أن رجـلًا بألف رجل!

علمتنـي الكتـب: ألا أشـتري الكتـاب دون فحـص لظـاهره وباطنه! فإن الكتب لها مخابر ومظاهر.

علمتني الكتب: أن الكتبَ لا تعلّم البليد ما دام أراد لنفسه أن يكون بليدًا، وإن جمع منها ما جمع!

علمتني الكتب: ألا أحكـم عليها بكلام الناس عنها، سـافر مـع الكتاب في رحلة القراءة لتحكم عليه ما دمت قادرًا علىٰ ذلك.

علمتني الكتب: أن السفر معها قطعة من النعيم!

علمتني الكتب كيف أكسب حبَّ وثقةَ واحترامَ مشايخي!

وصدق من قال:

أقلّب كُتْبًا طالما قد جمعتها وأفنيتُ فيها العمرَ حتىٰ تبدّدا

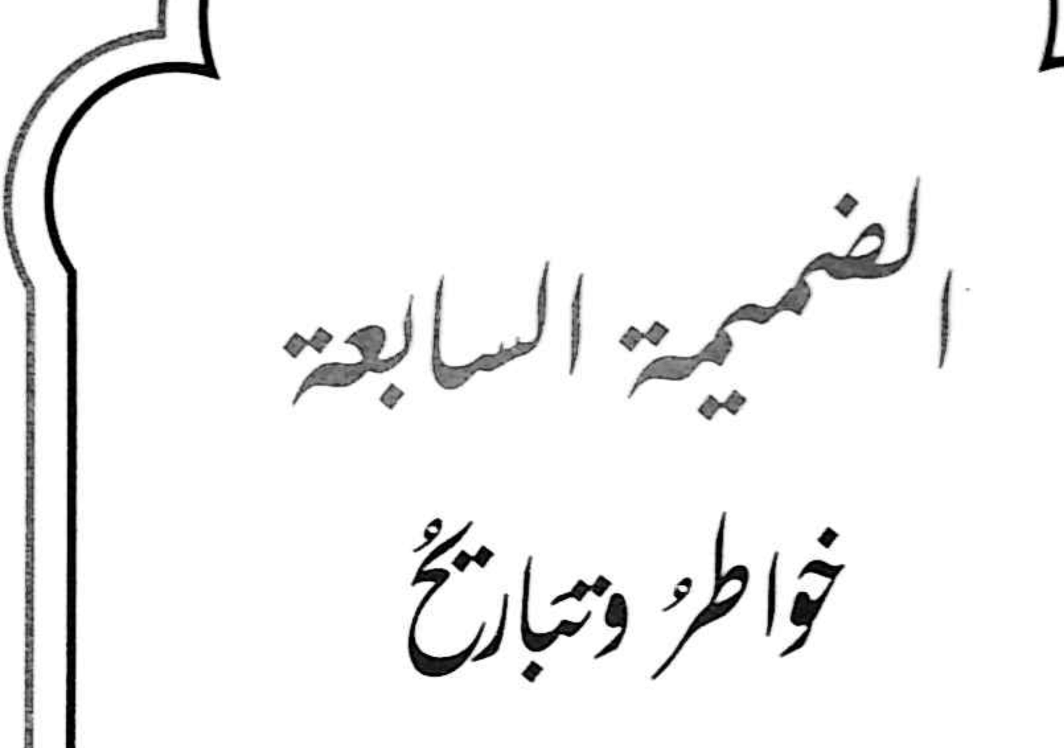
وأعلمُ حقًّا أنني لستُ باقيًا فياليتَ شعري مَن يقلّبها غدا

أقف أمامها إكبارا وإجلالا:

(صحيح البخاري) (مسند أحمد) (فتح الباري) (علل الدارقطني) (تفسير ابن جرير) (تفسير القرطبي) (أضواء البيان) (الأم) (الكتاب لسيبويه) (الأوسط) (التمهيد) (المغني) (السِّيَر) (البدر المنير) (الموافقات) (شرح الألفية للشاطبي) (منهاج السنة) (درء التعارض) (مجموع الفتاوىٰ) (زاد المعاد) (أعلام الموقعين) (شرح العلل لابن رجب) (خصائص ابن جني) (تهذيب الكمال) (تهذيب اللغة) (لسان العرب) (التنكيل) (فتح المغيث) (تاريخ دمشق) لابن عساكر (الضوء اللامع) (الأعلام) للزركلي.

كل هذه الكتب .. أقف أمامها باحترام شديد وتبجيل كأني أقف بين يدي مؤلفيها وناظمي عقودها..





لتعميم ثقافة القراءة يجب أن نهتم بها

لتكون ثقافة مجتمع،

فيكون تحفيزها والاهتمام بها على نطاق عام

وليس على أنها قضية فردية!



خواطر وتباريح

إذا **أمسكْتَ بالكتاب فخذه بقوة**، حتىٰ يشعُرَ بقوة حبك له، فيُسْلِم لكَ فوائدَه.

الكتب كنوز العلم، ومفاتيحها بأيدي العلماء.. فتلطّف بحامل المفتاح لتصل إلىٰ الكنز!

بعض الكتب كالبحر.. لا ينبغي أن يتقحّمه إلا الماهر المجيد.

لاقتناء الكتاب النفيس وحيازته لذةٌ عارمة.. لا يشعر بها (في نظري) إلا من اقتطع شيئًا من قُوْته أو قوت عياله ثمنا له!

مكتبتي وكتابي، قلمي وأوراقي، مقعدي ومتّكأي، ليلي ونهاري؛ هؤلاء هم أبطال (رواية رحلتي مع الكتاب)

لكل شيء مدخل وباب يُدخل إليه منه، وبوّابة الكتاب مقدّمته، والاستئذان: قراءتها.

افتح غلاف الكتاب .. ادخل الباب الأول.. ولا تخرج من الباب الأخير إلا وقد هتكْتَ أستارَ مكنوناته، وجنيتَ أطايب ثماره!

كلما زادت حرارةُ حبّك للكتاب نضجت التجربة!

لا تُسْلِم نفسك للكتاب .. اجعل الكتاب يُسْلِم فوائده لك.

متعة الكتاب عندي .. حين أقتنص فوائدَه وأقيّد شواردَه، ثم أعود إليها بعد مدة، فأجد فيها عبقَ الذِّكرىٰ، وأجتني ثمار التعب!

من استبدل القراءة في تويتر بالقراءة في الكتب.. فهو كمن اكتفىٰ بشمّ رغيف الخبز عن الخبز نفسه، فهل يسمن أو يغني من جوع؟! كلا!

أحيانًا لا يكون لديّ برنامج قراءة محدّد.. فأقف أمام رفوف كتبي لأختار منها، فأشعر أن كلَّ كتاب يناديني: أنْ هلمّ، ويكاد يدلي بحجته ليقطع تردُّدي... وبعضُ الكتب ألْحَنُ بحجَّته من بعض!

قد أختار من مكتبتي كتابًا للقراءة.. وأشعر أن الكتاب الذي بجانبه قد تهيّأ للبروز والخروج، فأخجل أن أردّه، فآخذه جبراً لخاطره، ولا أخليه من نظَرٍ ومناجاة!

بعض الكتب في مكتبتي أشعر تجاهها بحرجٍ شديد؛ اشتريتها ولم أُفْضِ إليها بالحديث، فأسارقها النظر ولا أحدّه، لكي لا تقع عيني علىٰ عينه!

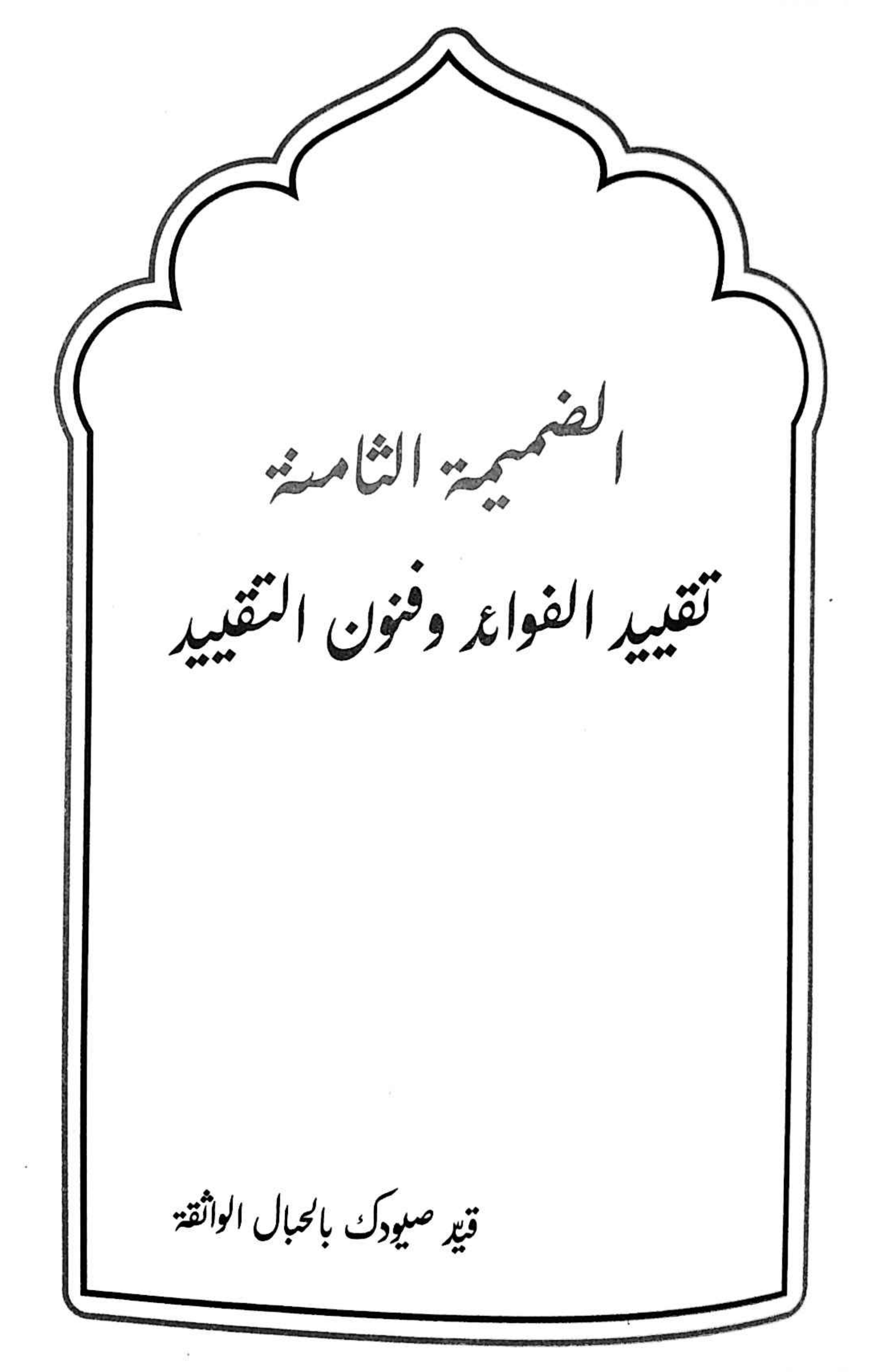
الكتب أيها السادة.. لها مشاعر وأحاسيس!

أتسكّع في دروب الكلام .. لكني أعود بلا شعور إلىٰ حديث الكتب.. وأي شيء أحلىٰ وألذّ وأمتع وآنس منها؟!

الكتاب .. هو سفير المعرفة الدائم.

الكتاب أرضٌ خصبة، وقراءتُه= حراثتُه، وتقييدُ فوائده= جَنْي ثماره.

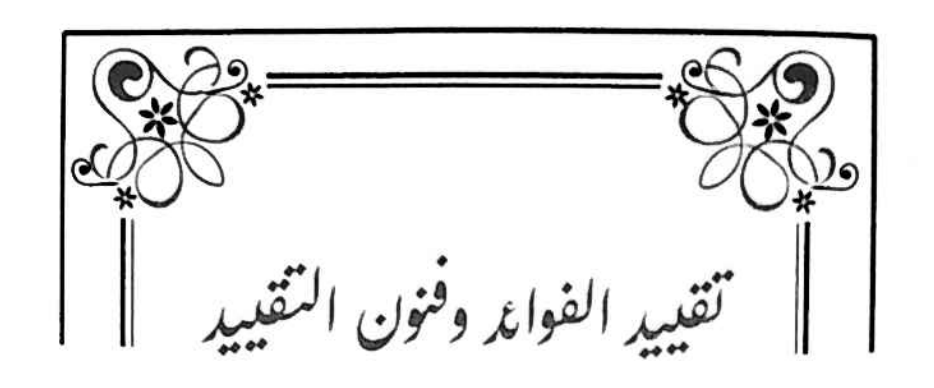




الضميمة الثامنة

تقييد الفوائد وفنون التقييد

قيد صيودك بالحبال الواثقة



تقييد الفوائد وفنون التقييد

مِن أهم الأمور التي ينبغي أن يُعنى بها طالب العلم والثقافة والمعرفة هو: كيفية استثمار القراءة، وحفظ المعلومة، وأرشفة الموضوعات والفوائد.

إذا جعلتَ مسألة تقييد الفوائد من أهم مهمات استثمارك للقراءة .. فذلك هو الطريق إلىٰ ابتكار أحسن الوسائل التي تناسبك أنت بخصوصك.

إذا قرأتَ كتابًا فضع لنفسك عدّةَ مشاريع؛ باستخراج فوائده، و تقييد شوارده، و جمع نظائره المنثورة، و مقارنته بغيره وتلخيص مباحثه، ولكل كتاب ذوقٌ خاص في التعامل معه، ويتحدّد ذلك لدىٰ الطالب مع الوقت.

لا أحصي كم سُئلت: كيف أدون الفوائد وكيف أستثمر القراءة؟ وأعترف لكم أن الإجابة انطلقت من قاعدة واحدة: لكل قارئ غاية ومنتهىٰ هي من يحدد الطريقة.

صحيح أن الإمساك بالقلم للكتابة والتقييد يؤخِّر الانتهاء السريعَ من الكتاب، لكنه أبقىٰ عائدةً وأنفع ثمرةً، فأنت تقرأ للمستقبل لا للحظة الحاضرة.

أضعف الإيمان في مسألة التقييد ألا تخلو صفحة الغلاف الداخلية من رؤوس أقلام لأهم مسائل الكتاب وطرائفه وفوائده ..ستجمع بعد حين خيرًا كثيرًا.

لكلّ شيخ طريقته في تقييد الفوائد، ليس بالضرورة أن يناسبك ما يناسبني .. والعكس صحيح.

كلما اتسعت معرفتك وكثرت قراءاتك استطعت أن تميّز الفائدة النادرة التي تستحق التقييد من الفائدة المبتذلة قريبة المنال.

أسعدُ الناس حظًّا بتقييد الفوائد: مَن لديه مشاريع علمية متنوّعة الأغراض متعددة الاتجاهات (حتىٰ في الفن الواحد)، كل نص مفيد له مكانه الذي ينتظره في مؤلفاته.

يمكنك أن تضع داخل الكتاب علامات متنوعة أمام الفوائد التي تقتنصها، لتكلّف بعد ذلك (ورّاقًا أو مساعدًا)[1] ينقلها ويفرزها ويصنفها.

---

(١) قال لي شيخنا بكر أبو زيد: أنه كان يكلف بعض أبنائه بجرد الفوائد المقيدة علىٰ أغلفة الكتب، وكل فائدة مقابلها ريال!

فمثلاً ضع للفائدة الأدبية (د)، والفقهية (ف)، والتاريخية (خ)، أو ضع رموزًا كالسهم أو الخط أو الدائرة، ومن ينقل يصنفها كذلك.

هذه المصطلحات ينبغي أن توضح المقصود منها في على الغلاف الداخلي توضيحًا بينًا، حتى لا يتقادم العهد بها فتنسى المراد منها أو تشكل على من ينقلها.

كثير من العلماء كان لهم مجاميع يقيدون فيها نوادرَ الأشعار والأخبار ونفائس الفوائد، وقد بلغ بعضها أسفارًا تزيد على المئة.

ليست الفوائد التي تستحق التدوين هي ما تقرؤه في الكتب فقط .. بل بعض ما تسمعه من مشايخك وأقرانك يساوي رحلة[1] فلا تفرِّط فيه.

نادرون أولئك الذين يحفظون ما يقرؤون، ويتذكرون المعلومة في الحال، بل لا يوجدون (والنادر لا حكم له)، فلا يصبك هذا الوهم فيثنك عن التقييد والكتابة وإن زعمتَ وزعمتَ..

---

(١) صرح ابن القيم عدة مرات أن بعض الفوائد التي سمعها من شيخ الإسلام تساوي رحلة، أو لا توجد في الكتب. ينظر بدائع الفوائد: ١/ ٣٤، وصرح به ابن جني في بعض فوائد أبي علي الفارسي، والشاطبي في الموافقات عند ذكره الشيوخ والتلقي عنهم.

الغايـة والـمنتهى في التقييـد أن تجعـل لكـل فـن أو موضـوع إضبارة (ملف للأوراق) تسجل فيه المعلومة أو تصور الصفحات المطلوبة، وإذا كثرت تُفهرس وترتّب.

هـذه الإضبارات يمكـن أن تجمعهـا وحـدةٌ موضـوعية، كـأن تجمع كل ما يمر عليك في قضية معينة، أو في مشروع بحثي أو في نظائر تلتقط، وهكذا.

بعـض العلمـاء اتخـذ طريقـة البطاقـات يسـجل في كـل رأس بطاقة عنوان الفائدة وفنَّها والكتابَ بالجزء والصفحة والطبعة، ثم يرتبها على الحروف أو على الموضوعات.

ممن انتهج هذا النهج الأخـير أحمد تيمور باشا، وغالب كتبه التـي طبعـت (علىٰ كثرتهـا) كانـت ثمـرة لهـذه الطريقـة، وانظـروا "**التـذكرة التيموريـة**" أعجوبـة في استقطاب الفوائـد! ومـنهم د. أكرم العمري كما في مقدمته لموارد الخطيب.

وممـن انـتهج نهـج الإضـبارات: العلامـة حمـد الجاسـر، والعلامة بكر أبو زيد، رحم الله الجميع.

العـاجز حقًـا هـو مـن يـرىٰ (الـدرّ المنثـور) و(اللآلئ المصنوعة) و(سبائك الذهب) فيعجز عن وضعها في (الكشكول) و(المخلاة) و(كناشة النوادر).

استخدم القلم وقت القراءة للتقييد والتنكيت، فإن المداد المسكوب منه هو رحيق زهرات الكتاب!

لابد من (قلم ودفتر) أثناء القراءة، تقيّد الفوائد في غلاف الكتاب، وتدوّن المسائل المشكلة في الدفتر، ويعلّم على المهمّ.

أحمد زكي باشا قيّد فوائدَ مطالعاته في الكتب في بطاقات (جزازات) بلغت فيما قيل أكثر من ١٨٠٠٠ بطاقة، وكان يمتح منها ويغذّي بحوثَه وكتاباته. ذكر مجمل خبرها الزركلي في (الأعلام)[1].

إذا لمعت لك فكرةٌ أو خاطرة أو فائدة، فبادر إلى تقييدها ولا تؤخّر.. فما أسرع ذهاب الأفكار اللوامع..!

لا تعتمد على سهولة الفكرة أو الخاطرة فتؤخر تقييدها، فما ضاعت بعضُ الأفكار إلا من سهولتها وبساطتها..!

كان الإمام البخاري ربما استيقض في الليلة الواحدة عشرين مرة، فيوقد السراجَ، ليقيّد معنىً لحديث أو استنباطا منه..

(١) ١/ ١٢٧. وانظر خبر محمد بن عثمان بك رمزي وجزازاته في الأعلام: ٦/ ٢٦٤- ٢٦٥.

كان الإمام الشافعي ربما استيقظ في الليلة الواحدة بضع عشرة مرة ليقيد بعض الفوائد والاستنباطات، كما أخبر بذلك تلميذه الحميدي.

كم من إمام ندم على عدم تقييد فكرة لم يقيدها، وحاول أن يتذكرها فذهبت، أذكر من أولئك ابن جني، والحافظ ابن حجر، والسعدي، وأشار إليه النووي..[١]

كان كثير من العلماء لا يسير إلا وفي جيبه دفتر صغير وقلم، تحيّنًا لمرور فائدة أو تقييد خاطرة، أو حل معضلة في العلم..، وانظر خبر الزركشي في الدرر الكامنة، والمعلمي في ترجمتي له، وطاهر الجزائري في تنوير البصائر للدمشقي.

كتاب (**صيد الخاطر**) من أمتع الكتب، وهو خواطر وذكريات وفوائد متفرقة قيدها ابن الجوزي من تجاربه ومعاناته، وقريب منه (**الفوائد**) لابن القيم..

كتاب (**الفنون**) على ضخامته قيل ٤٠٠ مجلد وقيل ٨٠٠ وقيل غير ذلك لابن عقيل كثيرٌ منه تأملات وخواطر في العلم، وقد أخبر عن نفسه أنه كان إذا تعب استلقى وتأمَّلَ في العلم فإن انقدح في ذهنه شيء قيَّده..

---

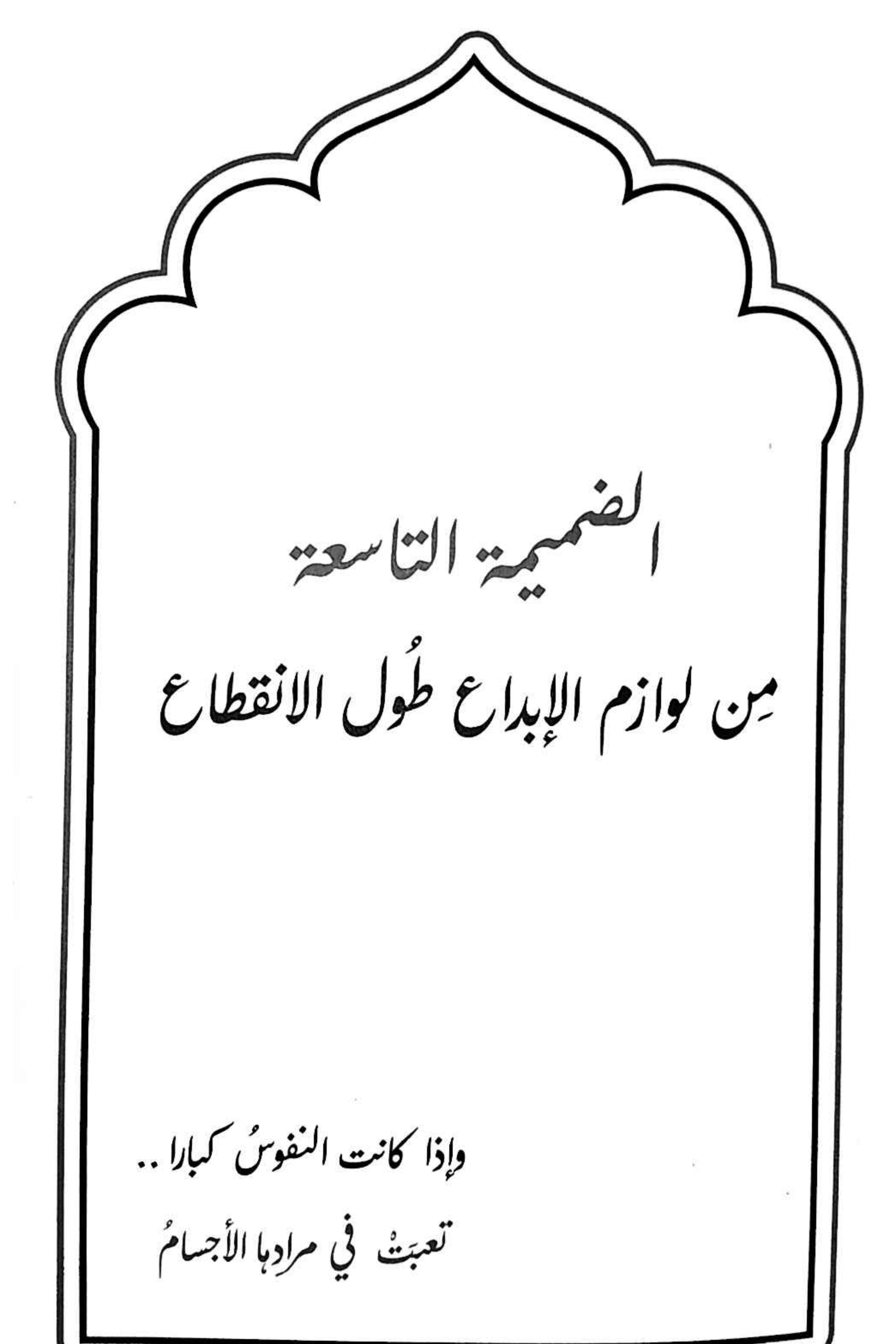
(١) انظر كتابي المشوق إلى القراءة ص ١٤٢.

اجعل لك دفاتر صغيرة تقيد فيها ما يعن لك من خواطر وأفكار أو فوائد جديدة تسمعها أو أبيات شعر نادرة .. واجعل لكل دفتر رقمًا مع تاريخ كتابته.

قد تعنّ لك الخاطرة في السيارة مثلا ويصعب كتابتها.. فالحل إما أن تمليها على أحد إن كان معك في السيارة، أو تسجِّلها في هاتفك صوتيًّا.. وكثيرًا ما أصنعها، أسجل ما أريد ثم أرسله إلى من يكتبه من الأبناء.

بعض الخواطر والأفكار ليست جديدة لكن صياغتها مبتكرة جميلة .. فاحرص على تقييد العبارة بعينها من هذا النوع لئلا تذهب.



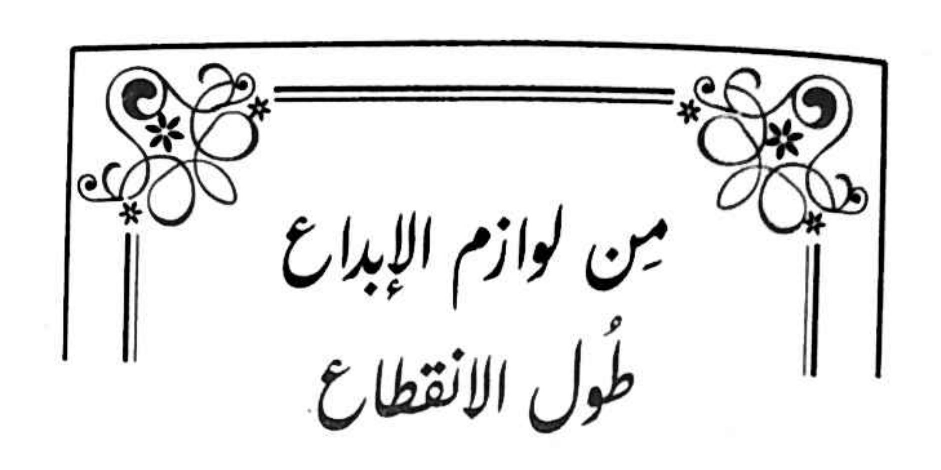


الضميمة التاسعة

مِن لوازم الإبداع طُول الانقطاع

وإذا كانت النفوسُ كبارا ..

تعبَتْ في مرادِها الأجسامُ



مِن لوازم الإبداع
طُول الانقطاع

لا نعني بالانقطاع ما تعنيه هذه الكلمة حرفيًّا، ولكن نعني إعطاء الوقت الكافي لإنجاز العمل المطلوب، سواء أكان تأليفًا أو قراءة أو تحقيقًا أو تأصيلًا، وهذا مما لا يُختلف فيه بحمدالله. أما الذين يشتكون من أن الوقت لا يكفي، وأغلب أوقاتهم إنما هي نهبة للناهبين، فماذا عسانا أن نقول لهم؟!

وهذه مُثل من تفرّغ العلماء لإنجاز **أعمالهم ومشروعاتهم العلمية**، فكانت نتيجة هذا التفرغ نِتاجًا عظيما غزيرا.

قال الربيع: لم أر الشافعيَّ آكلًا بنهار ولا نائمًا بليل لاهتمامه بالتصنيف[1].

وما كان لأبي الفرج ابن الجوزي (ت ٥٩٧) أن ينتج هذا النتاج الغزير حتىٰ قال الذهبي: ما علمتُ أحدًا من العلماء صنف

---

(١) تذكرة السامع والمتكلم ص ٥٨ .

ما صنف هذا الرجل) إلا في انجماع عن الناس، واجتماع دائم مع الكتاب والأوراق والدفاتر.

قال في صيد الخاطر[١]: (والذي يُعين علىٰ اغتنام الزمان: الانفراد والعزلة مهما أمكن، والاختصار علىٰ السلام، أو حاجة مهمة لمن يلقىٰ، وقلة الأكل، فإن كثرته سبب النوم الطويل وضياع الليل)اهـ.

في ترجمة ابن حزم (ت ٤٥٦) لما ضايقه بعضهم فقال له: هذا العلم ليس مِن مُنْتَحَلاتِك! «فقام وقَعد، ودخل منزله (فعَكَف)، ووَكَفَ منه وابلٌ فما كَفّ»[٢].

ما ألف الإمام البيهقي (ت ٤٥٨) كتبه العظيمة إلا حين انقطع عن الناس في بساتين قرية في بيهق.

وما ألف الذهبي (ت ٧٤٨) كتبَه الكبار كتاريخ الإسلام والسير إلا حين انقطع في إحدىٰ البساتين في ضواحي دمشق.

وما ألَف ابن خلدون (٨٠٥) مقدمته العظيمة إلا حين اعتزل عدة أشهر في قلعة بني حسان في الجزائر.

---

(١) ص ٦٠٤.

(٢) هذه عبارة الذهبي في السير: ١٨/ ١٩١ .

وما ألف الإمام ابن الوزير (ت ٨٤٠) كتابه النادر "العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم" ومختصره "الروض الباسم" وغيرهما إلا في انقطاع من الناس..

وما كان للإمام السيوطي (ت ٩١١) أن ينتج هذا الإنتاج الضخم إلا حين اعتكف وانقطع عن الناس فلا يفتح لطارق إلا إن كان من آل البيت..!

وما كان لمحمود شاكر (ت١٤١٨) أن يستوعب المكتبة العربية قراءة وفحصا واطلاعا إلا حين اعتزل الناس عشر سنوات كوامل استوعب فيها المكتبة العربية، كما أخبر عن نفسه[1]!

وما كان لشيخنا بكر أبو زيد (ت ١٤٢٩) أن يؤلف هذه المؤلفات الكثيرة النافعة إلا حين انقطع لها عن الناس وحافظ علىٰ وقته من الانتهاب.

وما كان لشيخنا حمدي عبدالمجيد السلفي (ت ١٤٣٢) أن يخرج كتاب (معجم الطبراني الكبير ٢٣ مجلدا) إلا حين نُفي إلىٰ بلدة هيت بالعراق وأقام فيها سنتين إقامة جبرية. كما حدثني بذلك.

(١) مقدمة أباطيل وأسمار، ومقدمة رسالة في الطريق إلىٰ ثقافتنا.

وذكر د. العودة أنه ما كان له أن يقرأ كثيرا من الكتب إلا وهو في السـجن كمـا في محاضـرته المنشـورة في كتـاب (تجـاربهم في القـراءة)[1]. **ومثلـه** الشـيخ أحمـد ياسـين كمـا في مقابلـة معـه، واختصـر الألبـاني صـحيح مسـلم في السـجن، وألـف الإمـام السرخسي المبسوط إملاء وهو مسجون في الجُب[2].

وما كان لك أنتَ (أنت.. يا مَن تقرأ) أن تحظى ببعض الثقافة ... إلا حين انقطعتَ سويعات أورثتْكَ طرفًا من علم.

فما نراه اليوم من اختصار مجالس العلم؛ بحيث يُختم متنٌ علميّ قراءة وشرحًا في يوم وليلة.. مضرّ بالطالب وغير مجدٍ في التأصيل.

وما نراه من توسّل القراء لقراءة عشر دقائق وخمس دقائق لا يسمن ولا يغني من جوع!

وما نراه من منازعة كل الوسائل الحديثة للكتاب وانسياق طوائف من الشباب الصاعد إلى ذلك، توهمًا أنها تورث علمًا

---

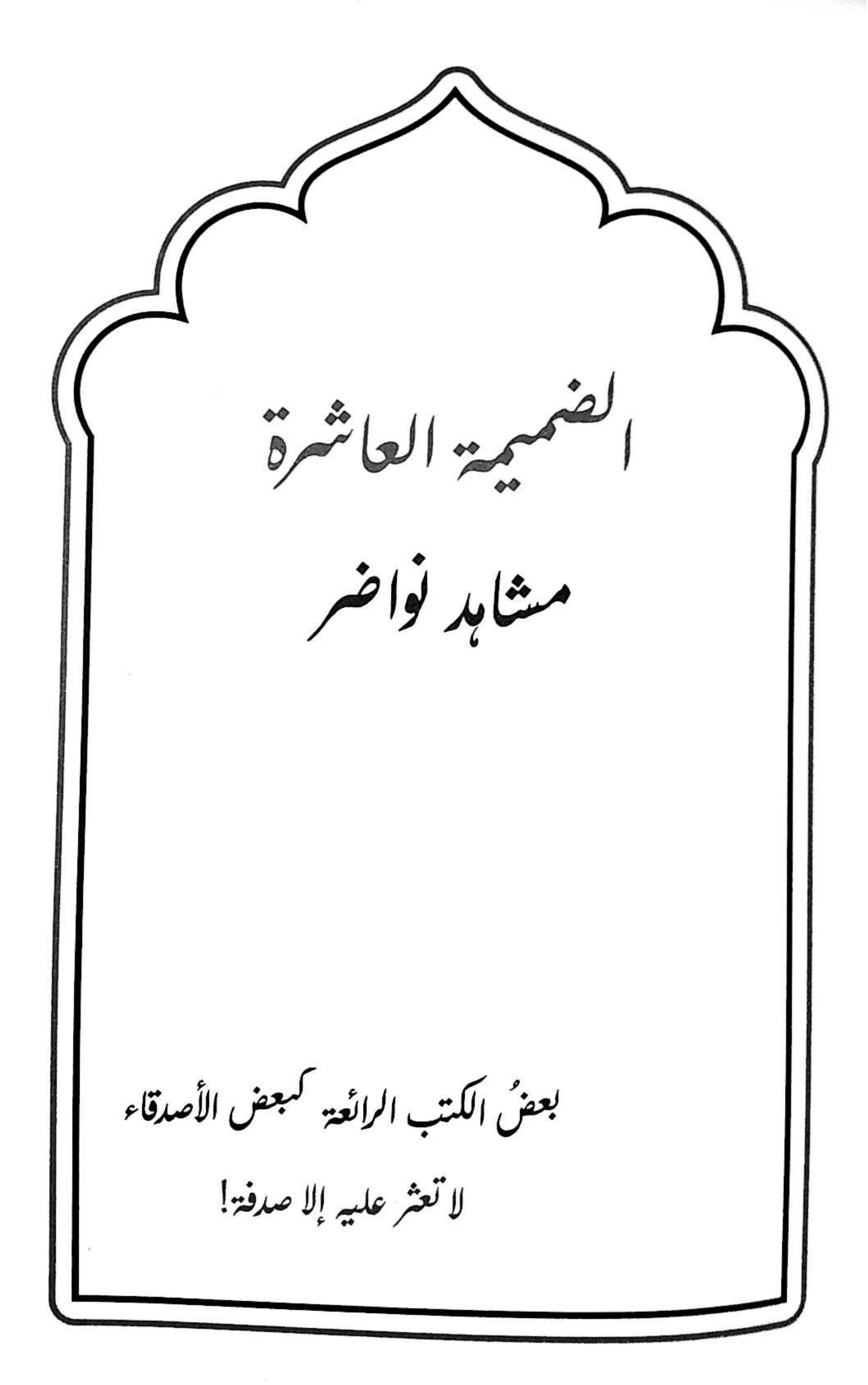
(١) ص ١٦٠ فما بعدها.

(٢) ذكره الألباني في مقدمة الكتاب، وصرح به السرخسي في عدد من خواتيم أبواب كتابه.

وفائدة وهمٌ كبير أو خداع للنفس! وكم قرأنا لكثيرين أنهم هجروا وسائل التواصل الاجتماعي عدة أشهر وأنجزوا فيها إنجازات كبيرة على الصعيد القرائي أو البحثي...

إن **آفة هدر الأوقات** آفة لا لعًا لها إن لم يتنبه لها الطالب أو حتى الشيخ ويحسن التعامل معها بحرفية ومهارة وحسن تدبير.



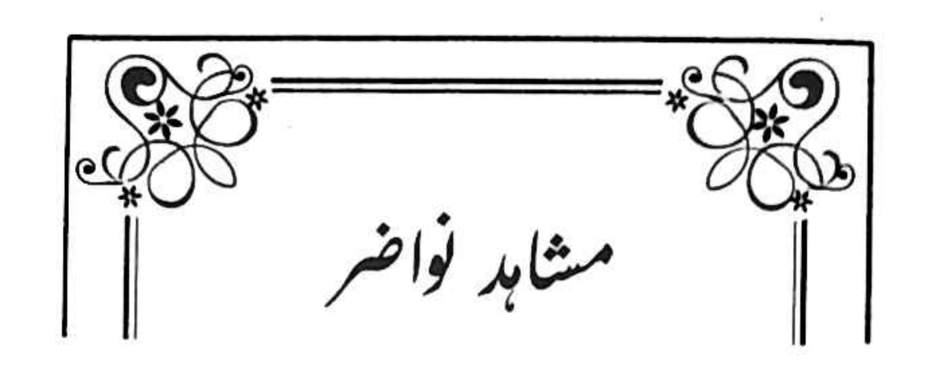


الضميمة العاشرة

مشاهد نواضر

بعضُ الكتب الرائعة كبعض الأصدقاء

لا تعثر عليه إلا صدفة!



مشاهد نواضر

عبرة: رأيتُ في مكتبة بعض أستاذيّ قيد قراءة علىٰ ظهر كتاب (أباطيل وأسمار) وقيّدَ الانتهاء منها فكان في شهر واحد (ولم يبين هل كان متصلا أو متقطعا ولا وقت القراءة هل كان ساعة أو ساعات)، لكنه حَفَزني علىٰ مجاراته في القراءة والتقييد، فقرأته في ٦ أيام.

عكف شيخنا بكر أبوزيد علىٰ تراث إمامين جليلين محقّقَين مجتهدَين، فنخَلَه نخلًا واستوعبه قراءة ودرسًا، هما (شيخ الإسلام ابن تيمية- وتلميذه ابن القيم)

حدثني شيخنا العلامة بكر أبو زيد: أنه قرأ (قراءة جرد) (كتاب الأعلام) للزركلي (٨ مجلدات) خمسَ مرات أو أكثر. وهذا الكتاب من مفاخر التآليف في العصر الحديث في رأي الشيخ علي الطنطاوي وغيره!

وذكر لي الأستاذ أحمد العلاونة صاحب ((ذيل الأعلام)) ـ صدر منه خمسة مجلدات حتىٰ الآن ـ أنه قرأ كتاب الأعلام أكثر من ١٠٠ مرة!

مـن الكتـب النافعـة في تجـارب القـرّاء كتـاب: (تجـاربهم في القراءة) لمجموعة من الباحثين والأدباء والمؤلفين، من إصدارات مكتبة الملك عبدالعزيز العامة، في مجلد واحد، في ٢٩٠ص.

* لن تكون قادرًا علىٰ الكتابة علىٰ "رسم أهل الفن" حتىٰ تتملّأ من القراءة في مصنفاتهم، وتدقق النظر في أساليبهم، وتُجْريَ القلمَ علىٰ سَنَنهم.

* من كان من عُشَّاق جمع الكتب فليوطّن نفسَه علىٰ شقاء حفظها والتنقل بها .. كم من قصص مؤسفة انتهت ببيع المكتبة! وفي كتاب الزهد لأحمد: أن سليمان قال لابنه: إن من سيّء العيش النُّقلة من منزل إلىٰ منزل.

وعليه فليخطط كل من منّ الله عليه بجمع مكتبة لمآلها بعد موته، فكثير من مكتبات العلماء تفرّقت أيادي سبأ، أو تركت لورثة مزقوها كل ممزّق بعدما تعب صاحبها في جمعها، أو وُضعت في مكان تصفر فيه الريح.. في مآسٍ تحزن القلب[1].

أعان الله أصحاب المكتبات وعشاق الكتب!

---

(١) ينظر كتاب العلماء العرب المعاصرون ومآل مكتباتهم للصديق أحمد العلاونة.

عندي اعتقاد جازم: أن طالب العلم لو فرَّغ كلَّ يوم ثلاث ساعات من وقته، يحبسُ نفسَه على القراءة والبحث والدرس؛ لخرج لنا طالبَ علم متمكّن في ستّ سنوات تزيد أو تنقص.

إدمان القراءة في كتب الأدب كـ (العقد)[1] لابن عبد ربه و(عيون الأخبار) و(زَهر الآداب) و(البيان والتبيّن)[2] وتُحَفّظ نقاوة من عباراتها= سبيل جيد لاستقامة اللسان والقلم.

من الكتب المعاصرة الجامعة للفوائد العزيزة أو المنتخبة: «التذكرة التيمورية» لأحمد تيمور، و«كناشة النوادر» لهارون، و«الحديقة» للخطيب، و«الذخائر والعبقريات» للبرقوقي.

* كتب المستشرق د.جولدتزيهر (٥٩٢ بحثا) في المجلات العلمية، هذا عدا الكتب التي ألّفها! بعضُ دكاترتنا اليوم لم يستطع أن يكتب بحثين هزيلين للترقية!

* الأديب الكبير (أمير البيان) شكيب أرسلان أحصى ما كتبه في سنة واحدة فقال: حالتي الراهنة الآن من جهة الكتابة أني أكتب في الحول ١٨٠٠-١٧٠٠ مكتوب خصوصي، ونحواً

---

(١) اسمه (العقد) و(الفريد) من إضافات النساخ.

(٢) وليس (والتبيين) بياءين ينظر قطوف أدبية، و مقدمة المنتقى منه للصديق البحاثة أبي الفضل القونوي.

مـن ٢٥٠ مقالـة في الصـحف، عـدا التـآليف المطبوعـة التـي تبلـغ بالأقل ٢٥٠٠-٣٠٠٠ صفحة في السنة، وهذا المبلغ هـو أكثر ممَّا كنت يوم كَتَبَ إليَّ السيد رشيد ينهاني عن هذا الإسراف في الجهد. انتهىٰ.[1]

من كان محبوبه العلم جعل الكتابَ أنيسَه في كل وقت؛ في البيت والسيارة والنزهة والعيد.. لا يخلو وقته من نظر في الكتاب.. حتىٰ علىٰ الطعام!

مشروع العمر: ليست فكرة جديدة، كان للقدماء مشاريع عاشوا لتتحقق، كان الطبراني يقول عن (المعجم الأوسط): هذا الكتاب روحي. فقد تعب فيه أيّما تعب!

عاش ابن حجر لتأليف الفتح ٢٥ سنة، **والمزي** لتأليف تهذيب الكمال ١٦سنة، **والزبيدي** لتأليف التاج ١٤سنة، **والطاهر ابن عاشور** لتأليف التحرير والتنوير ٤٠سنة، **وعبدالخالق عُضيمة** لدراسات في القرآن الكريم ٢٥سنة.

كان الحافظ ابن حجر إذا جلس مع الناس يكون بيده كتاب، فينظر إلىٰ الكتاب حينًا وإلىٰ محدِّثه حينًا آخر، كأنه معه وهو مع الكتاب! ذكره السخاوي.

---

(١) السيد رشيد رضا وإخاء أربعين سنة ص ٥٢٦ في الحاشية.

من الجميل للقارئ المتميّز: أن يكتب - بأدب ولباقة - لصاحب الكتاب؛ فيشكر إحسانه إن أحسن، وينصحه إن زلّ أو أخطأ.

من كثرة ما نسمع عن القراءة السريعة ودورات التسريع ومهاراتها.. يتصور بعض الطلاب أنه في مارثون مع الكتاب، إما أن يقرأه بسرعة البرق وإلا طرحه واعتبر القراءة مهمة شاقة!

من العبارات التي كان يردّدها شيخنا العلامة بكر أبو زيد إذا ذكرتُ له نقدًا لأحد كتبه أو جئته ببعض الملحوظات: (**لا يضيء الكتاب حتى يظلم**)!

(**الكتاب الذي لم تقرأه**) كلما تقادم به الزمن ـ في مكتبتك ـ يزيدُ شيئان: قيمته التاريخية، وجهلك المعرفي به!

بعض الفوائد النادرة مثل (الغيد الحسان) لا تجدها إلا مكنونة متوارية عن الأنظار، تقبع في زاوية من زوايا الكتاب!

خذ الكتاب بقوة وعزم، لئلا يشغلك عنه شاغل، وبقوة الفهم لتنتفع به وتستفيد منه، وبقوة النّهمَة لتنتهي منه ثم تشرع في غيره.

إذا فارقتُ القلمَ أو الكتابَ، فأراني كالسّمَكِ إذا فارق الماء! (جمال الدين القاسمي)

الكتاب الذي يأخذ بتلابيبك حتى تُنهيه... يستحق أن تأخذ بتلابيب الناس لتوقفهم عليه!

في تراثنا من الكتب ما ألفه الابن وأكمله أبوه ككتاب: «الدلائل في غريب الحديث» لقاسم بن ثابت السرقسطي مات الابن قبل إكماله فأكمله أبوه..

ومثله أيضًا شرح صحيح مسلم لقوام السنة (راجع كتابي العلماء الذين لم يتجاوزا سن الأشد).

الكتاب الجامع لأشتات الحكمة يولدُ ميّتًا إذا أعوزه الأسلوب. (شاتوبريان).

قد لا يعكس الكتاب بالضرورة شخصية مؤلفه، فقد يبدو في كتابه قويًا عنيفًا، بينما هو في حقيقته سهل العريكة ليّن الجانب، والأعجب أنه قد يكشف علمَه، فقد يبدو عالمًا في تقريره ضعيفًا في كتابته، وقد يبدو كاتبًا مجيدًا لكنه ضعيف الاستحضار.

الكتب الكبار كالعلماء الكبار لا يعجبني التطاول ولا التسلّق عليها!

من ولد في بيت مليء بالكتب مثل من ولد وفي فمه ملعقة من ذهب .. لا يشعر بطعم اقتناء الكتب وتكوين المكتبة إلا من جمعها من عرقه وبعض قوتِ عياله!!

كم يحزنني حين أرىٰ بعض المؤلّفين يدور بكتابه (المفيد الرائع) علىٰ المكتبات ليجد مَن يطبع له، بينما تجد الكتب التافهة طريقها للنشر معبدًا ويتهافت الناشرون علىٰ الكتب المسطّحة للعقول!؟

(صرعىٰ الكتب والمكتبات في العراق) مقال لمحمد رضا الشبيبي في مجلة لغة العرب، السنة٢، عدد٢ سنة ١٩١٣م.

فرقٌ بين من يستخرج الفوائد من الكتب بالمناقيش، وبين من يستخرجها بلمسةِ زرّ في (الشاملة).

اجعل لك دفترًا خاصًّا تقيّد فيه أسماء الكتب المهمة التي يثني عليها أهل الاختصاص، مع تقييد وجه تفضيلها علىٰ غيرها؛ بعد مدة لن تقدر النتيجة بثمن!

كم يتمنىٰ الواحد منا لو يعود إلىٰ الكتب التي قرأها في وقت شبابه...فيقرأها من جديد...خاصة تلك الكتب التي لم تكن من مستواه العلمي حين قرأها.

الإعادة ثقيلة، لكن كم سنكتشف الآن بعد التقدم في الطلب وتوسّع المدارك= من جديد الفوائد واستثمار النصوص وفهم المسائل!

من المكتبات التي انتفعتُ بها: مكتبة الشيخ محمد الطيب اليوسف (ت١٤٢٩هـ) رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالطائف، وهي مكتبة عامرة كبيرة، فيها نفاس الكتب على اختلاف فنونها.

اطلعت في مكتبة الشيخ الطيب على نوادر الكتب، فالشيخ قديم الجمع من أيام كان طالبا في دار الحديث ١٣٦٠ .. وبقي حريصا على اقتنائها إلى قبيل وفاته[١].

إذا زرتُ عالمًا أو طالب علم ... فخير مكان للضيافة والجلوس والأُنس هو المكتبة ولا شيء غير المكتبة!

معرفة الكتب فن برأسه.

من الكتب التي لا يفتأ الشيخ بكر يثني عليها: (مجموع فتاوى ابن تيمية)، جمع ابن قاسم في ٣٧ مجلدًا ويقول عنه: إنه غُرة في جبين الدهر[٢].

كنت أشتري للشيخ بكر بعض الكتب التي يطلبها مني أو التي أرى أنه يحفل بها، فما سألني يومًا عن ثمن الكتاب، وكان يردد: العلم لا يقدَّر بثمن!

---

(١) كتبتُ ذكرياتي مع مكتبته في مقال مطول نشر في موقع الألوكة.

(٢) المداخل إلى آثار ابن تيمية ص ١٠١

إذا اعتبرنا تويتر كالكتاب، فإن الكتب الجادة القوية المؤصّلة لا يرغب فيها إلا القليل.. والكتب الخفيفة سوقها هو الرائج!!

الحافظ الدغولي: أربع مجلدات لا تفارقني سفرا ولا حضرا: كتاب المزني، وكتاب العين، والتاريخ للبخاري، وكليلة ودمنة[1].

سؤال لكل قارئ: ما هي الكتب التي لا تفارقك؟

يمكن استخدام أنواعٍ من الكتب لإيهام النفس بالقدرة على قراءة الكتب، والانتهاء من الكتاب في مدة وجيزة، مثل الكتب المصوّرة، نصفها صور وربعها فراغ! التحايل على النفس مطلوب في بعض الأحيان!

ومن الكتب التي تشعرك بالإنجاز في القراءة والقدرة على حبس النفس في مبتدأ الأمر: كتب الروايات والقصص .. أعرف من يقرأ مجلدا كبيرا منها في يوم أو يومين!

بعض الكتب كتبت بحروف كبيرة وفراغات واسعة بين الأسطر وعرض الصفحة المكتوبة دون ١١سم على خلاف العادة، أنصح بها من أراد ترويضَ نفسِه على القراءة!

---

(١) تذكرة الحفاظ ٣/ ٨٢٤

رأيتُ بعض الإخوة والأخوات في تـويتر عرضـوا في (صـورة) مجموعةً من الكتب التي قرأوها .. فإذا بمعظمها روايات وقصص مترجمة وغير مترجمة... ما هكذا تتكوّن الثقافة الواعية!

يا شباب: لا تحدّثوني عن قراءة الروايات والقصص (فقط).. فالروايات وحدها لا تنتج مثقفا ولا شيئا ذا بال!

بعض الكتب عنواناتها لا تكشف عن محتواها، فلا تكتفِ بالنظر إلىٰ عنوان الكتاب .. خذ جولة علىٰ مقدمته وفهارسه، ستقع علىٰ نوادر وشوارد!

مثال ١: (نقض المنطق) لابن تيمية .. أكثر الكتاب في عقيدة أهل الحديث، والكلام علىٰ المنطق أقل من ٦٠ص . ويلاحظ أن التسمية ليست من المؤلف[(١)].

مثال ٢: (نموذج من الأعمال الخيرية) لمحمد منير الدمشقي .. عنوانه لا يدل علىٰ محتواه.. وهو مليء بالفوائد عن الكتب وتاريخ نشرها وغير ذلك.

---

(١) في نشرتنا للكتاب ضمن مشروع آثار شيخ الإسلام ابن تيمية أسميناه (الانتصار لأهل الحديث) كما نص عليه من نقل عنه.

من أخطاء بعض الناشرين والمحققين: أنهم يطبعون بعض الكتب مبتورة العنوان يجتزئون بأوله عن باقيه، ولا يعرف موضوعه إلا بوضع كامل العنوان.

ومن أخطاء الناشرين والمحققين: طبع الكتب بعنوانات مختصرة مثل (صحيح البخاري، صحيح مسلم) ويتركون أسماء الكتب العَلَمية الكاملة التي سماها بها مؤلفوها!

في الدول المتحضرة تُدعم أسعار السلع الأساسية لبناء الأجسام، فمن باب أولىٰ أن تُدعَم الكتب الأساسية للعلم والثقافة لأن فيها غذاء الأرواح وبناء العقول، وحسنًا كانت تفعله الجامعة الإسلامية في وقتنا وقبله من توزيع المقررات الدراسية والكتب المساعدة.

ابن تيمية: قد أوعبت الأمةُ في كل فن من فنون العلم إيعابا، فمن نور الله قلبه هداه بما يبلغه من ذلك، ومن أعماه لم تزده كثرة الكتب إلا حيرة وضلالا[1].

أصاب بحسرة بالغة حينما أرىٰ الكتب الضعيفة في طبعات فاخرة، والكتب الفاخرة في طبعات ضعيفة!

بعض الكتب يُنفَق في طباعتها... ما لو صُرِف لطباعة عشرات الكتب لوسعتها النفقة بل زادت!

---

(١) الفتاوىٰ ١٠/ ٦٦٥.

الـمازني: كانـت الكتـب أنيسـي في وحـدتي، وسـميري في خلوتي، وكنت أستغني بها عن مُتع الحياة ولذات العيش[1].

كثـرة الاشـتغال بـالعلم تنـافي حُسـن تصـنيف الكتب غالبًا.

الحافظ ابن حجر

ذكر أنيس منصور أن العقـاد لـيس مِـن هُـواة السـفر، ويقـول: تكفيني الرحلة عبر الكتب.

يقول أحمد شاكر[2]: والكتاب إذا عُني به صاحبُه، وجالت يدُه فيه، وكـان مـن أهـل العلـم متحرّيًا؛ زاد صـحةً و نـورًا، وهكـذا ينبغي لصاحب الكتب.

جمال الدين القاسـمي: اتفـق لـي قـراءة صـحيح مسلم في ٤٠ يوما، وابن ماجه في ٢١، والموطأ في ١٩، والتهذيب في ١٠ أيام[3].

الـمعلمي: نعـم الله علـيّ لا تحصـىٰ، ومـن أعظـم ذلـك: أني بحمد الله لا أحتاج إلىٰ أحدٍ من الناس، وأني رُزقت شيئًا من اللـذة في الكتب[4].

---

(١) قبض الريح ص٧.

(٢) مقدمته لتحقيق جامع الترمذي.

(٣) الفضل المبين ص٥٣-٥٤

(٤) المدخل إلىٰ آثار العلامة المعلمي ١/ ٢٢٥ لكاتبه

لابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة رائعة يقول فيها : لا تقرأ قراءة المقبل ولا قراءة المدبر، ولكن اقرأ قراءة الناقد.

أعيدوا قراءة الكتاب مرات، راجعوا نوع الكتاب المقروء، أو الفن...واصلوا الطريق، ولا يثبطنّكم الشيطان ولا تيأسوا، فإن اليأس من أعوانه.

حدثني شيخنا بكر أبو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أنه كان لا يملّ من قراءة كتاب "معيد النعم ومبيد النّقم" لتاج الدين السبكي (ت٧٧٤).

من الكتب الماتعة الثرية المكتنزة بالفوائد: (الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ) للسخاوي (٩٠٢) في مجلد واحد. مطبوع. وكان الشيخ بكر يقول: إنه لا يمل من قراءته.

كثير ممن تأتيهم كتب الإهداء تبقى الكتب في (كراتينها) سنة وأكثر، وقد لا تفتح أبدًا، بينما يتشوّف إليها محبّ العلم كمن ينتظر عروسًا تُجلى إليه!

من أمتع الكتب التي قرأتها (أدب الطلب ونهاية الأرب) للشوكاني. من حيث الأسلوب، وتصويره لمشكلات العلم في عصره، وطرحه لمنهاج الطلب.

بعضهم يُشعر صاحب المكتبة بالجميل إن هـو اشـترىٰ كتابًا من عنـده، وكـان ينبغـي أن تشـعر بجميلـه حـين وفّـره لـك.. علىٰ ضعف سوق الكتب ومخاطرة التجارة فيها!

لم يقطع الإمام البرقاني (تصنيف الكتب) حتىٰ مـات، ومـات وهو يجمع حديث مِسْعَر[1].

ابـن الجـوزي (ت٥٩٧): (وأخـبرك عـن حـالي: مـا أشـبع مـن مطالعة الكتب، وإذا رأيتُ كتابًا لم أره فكأني وقعتُ علىٰ كنز).

هاتِ أخبرني، هل تشعر بالشعور نفسه؟!

كان بعض العلمـاء إذا سئم مـن القـراءة والمطالعـة اسـتدعىٰ مقامات الحريري فيطالع فيها ويسميها: طبق الحلوىٰ.

الحـافظ البرزالي (ت٧٣٩) كـان عجبًـا مـن العجـب في التـوفر علـىٰ القــراءة والعلــم، فقــد قــرأ آلاف الكتــب علــىٰ العلمــاء والمحـدثين، و كـرَّر بعضَـها مـرات كثيـرة. راجـع مقدمـة تحقيـق المقتفي.

اجعل الزيادة من العلم والإدمان علىٰ القراءة مِشْعَلك الـذي يبدد الظلام ويضيء لك الطريق.

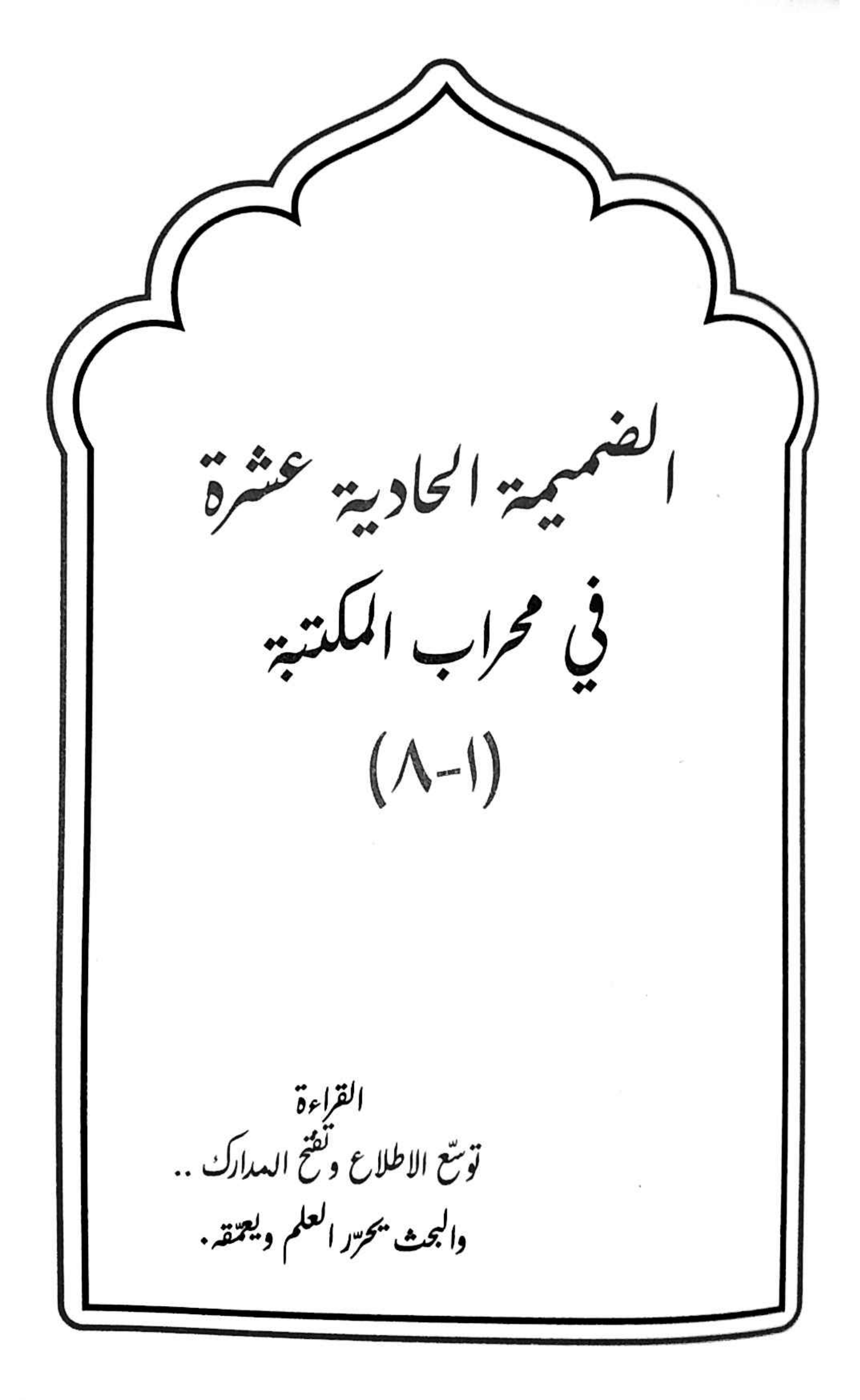
---

(١) السير ١٧/ ٤٦٥

ليست القراءة الواسعة فقط هي من تجعل منك باحثًا مُجيدًا .. الباحثُ المتمكّن يعمل ويمارس وينقّب ويعرض الأفكار ويناقشها ويعيد ترتيبها وصياغتها.

كم رأينا من أصحاب القراءة الواسعة أو الحفظ الجيد... لكنه عاجزون عن البحث الجيّد الرصين. القراءة إحدىٰ صفات الباحث الجيد ولها مكملات ومتممات.





الضميمة الحادية عشرة

في محراب المكتبة

(١-٨)

القراءة
توسّع الاطلاع وتفتّح المدارك ..
والبحث يحرّر العلم ويعمّقه.



جمع الكتب والرد على المزهّدين

١) **في بلداننا العربية**: أضعف سوقٍ سوقُ العلم، وأبخس تجارة تجارة الكتب، وأعجز الناس عن تسديد ما عليهم هم أصحاب المكتبات! ثم يزهّدونك في الكتاب وكثرة اقتنائه[1]!

٢) ليتنا نسمع بعض هذا التزهيد في المطاعم والمقاهي وأدوات الزينة والهواتف الذكية وكماليات الحضارة كما نسمعها في الكتب واقتنائها والشغف بها!

٣) كم عدد طلاب العلم والمثقفين في المجتمع؟ وكم عدد من يهتم باقتناء الكتب منهم، وكم عدد من يتابعون الجديد منهم؟ وكم عدد المشغوفين؟ وكم وكم؟ لا شيء كنسبة وتناسب بعدد المجتمع..

٤) يُطبع من الكتاب الواحد مثلًا ١٥٠٠ نسخة .. وتبقى هذه النسخ عشر سنوات يدورُ بها الناشر على المكتبات وفي معارض العالم ولا تنفد.. ثم يحدّثونك عن (ظاهرة) كثرة الاقتناء؟!

---

(١) يراجع كتاب هموم ناشر عربي لعدنان سالم.

٥) يذكرني أولئك الذين يتنادون بألا يُشتَرىٰ من الكتب إلا ما يُقرأ ببعض العامّة حين يحتجون عليّ بمثل هذه الحجة!

٦) البعض يحلو له أن يستدل لتقصيره في اقتناء الكتب أو لتزهيده فيها بأن بعض العلماء (ليس عنده إلا رفان أو دولابان من كتب) ونسي أن كبار الأئمة كانوا من أصحاب المكتبات الواسعة، فما أولئك بأبلغ حجة من هؤلاء.

٧) للأزواج قصص كثيرة في إدخال الكتب إلىٰ بيوتهم خِفية، بعيدا عن أعين نسائهم التي لا تكف عن مراقبة ما يدخل منها، إما لضيق المكان أو لضيق الثقافة أو لضيق العقل، أو لمزاحمتها نفقات البيت! ويبدو أن هذه الشكوىٰ قديمة، ولعل الشيخ سلمان بن عبدالحميد الحنبلي (ت٨٠٥) قد ليم مرارا علىٰ كثرة مشترياته فقال لصاحبته:

وقائلةٍ أنفقتَ في الكُتْب ما حوَت   يمينُك من مالٍ فقلتُ: دعيني
لعلّي أرىٰ فيها كتابًا يدُلّني   لأخذِ كتابي آمنًا بيميني





(علاقة الكتب ببعضها)

١) بعض الكتب ربما تعالج قضايا جزئية أو دقيقة، لو قرأت الكتاب ربما لن يضيف إليك شيئا ذا بال في بنائك المعرفي.

٢) ومن مهارات الباحث الجيد معرفته بعلاقات الكتب بعضها ببعض؛ فإن للكتب علائق ووشائج كعلاقات النسب والمصاهرة .. ومعرفتها غاية في النفع والفائدة..

٣) معرفة الدّارس لعلاقة الكتب ببعضها مهمّ في تحديد القيمة العلمية للكتاب، ومدىٰ الاعتماد عليه، وتصحيح بعض الأوهام الواقعة في بعضها.

٤) **من أمثلة علاقة الكتب:** كتاب (أعيان العصر) للصفدي استوعب الحافظ في (الدرر الكامنة) غالب مَن ذكرهم ممن دخل في شرط كتابه، فيصحح كلا الكتابين من بعضهما.

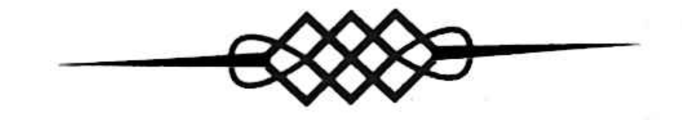
٥) **ومثله** المعجم المختص استوعبه الحافظ في الدرر، والعبر للذهبي وإنباء الغمر لابن حجر استوعبهما ابن العماد في شذرات الذهب، والبدر الطالع للشوكاني استوعبه القنّوجي في التاج المكلل... وهكذا.

٦) **ومن مهارات الباحث الجيد:** معرفته بميزات الكتب، فبعض الكتب تتميز بفوائد لا تكاد توجد في غيرها، كضبط الأسماء والأنساب أو الكلام على الأحاديث؛ فكتاب ابن خلكان ملتزم بضبط الأسماء والأنساب التي يوردها ويقيد ذلك بالحروف، وقد استخرجها في جزء عبدالسلام هارون بعنوان (مقيّدات ابن خلكان)، ومثله في التقييد والضبط كتاب (التكملة لوفيات النقلة) للمنذري فإنه يقيد ويضبط أيضًا، ومثله السخاوي في الضوء اللامع خاصة في معاصريه وبلدات مصر...

٧) **قال بعض المؤرخين المصريين:** إن الباقي من الكتب التي ألفها المسلمون ليس إلا نقطة من بحر بسبب ما أحرقه الصليبيون والتتر والإسبان!

٨) قد يكون الكتاب ممتازا من جهة فيه قصور من جهة أخرى.. فالمفاضلة المطلقة ظلم في بعض الأحيان.

٩) يكفي في بعض الكتب أن تعلم أنه مصدر مهم لهذه المسألة أو تلك القضية وليس شرطًا أن يكون مرجعا في كل المسائل ولا أن تقرأه كاملا.





أمّات الكتب في الفنون

لو استغنى طالب العلم بـ (فتح الباري) لابن حجر عن كل كتب شروح الحديث لأغناه.

لو استغنى طالبُ الفقه بكتاب (المغني) لابن قدامة لأغناه.

لو ضبط طالبُ النحو(شرحَ ابن عقيل علىٰ ألفية ابن مالك) لكفاه وزيادة .

(مختار الصحاح للرازي، مجلد) و (المصباح المنير للفيومي، مجلد) تكفيك في تحصيل ثروة لغوية كبيرة ومَعين لا ينضب من المفردات.

(مختصر علوم الحديث) لابن كثير بوابة جيّدة لعلم مصطلح الحديث، و(فتح المغيث) بحره العميق.

(جواهر الأدب) لأحمد الهاشمي من أول ما يوصىٰ به مريد الأدب وتاريخه ومختارات منه... قديمه وحديثه.

في رجال الحديث (تهذيب التهذيب) و(ميزان الاعتدال) و(لسان الميزان) تجمعُ لكَ غالبَ رواة كتب الحديث التي تدور عليها الأسانيد.

(تقريب التهذيب لابن حجر) كافٍ للمقلد في الرواة ، مثل (زاد المستقنع) كاف للمقلد في الفقه.

يكفيك في أحاديث الأحكام (بلوغ المرام) فإن رمت التوسّع (فالمنتقىٰ) للمجد و(فتح الغفار) للرباعي.

في غريب الحديث: تكفيك وتزيد (النهاية في غريب الحديث) لابن الأثير. ومستدركه للسيوطي.

في علوم القرآن: يكفيك (الإتقان في علوم القرآن) للسيوطي. طبعة مجمع الملك فهد ٧ مجلدات .

في أصول الفقه: (الوجيز) لعبد الكريم زيدان يمهّد لك الطريق، و(قواطع الأدلة) للسمعاني يصل بك إلىٰ التحقيق.

في التفاسير المختصرة: (الوجيز) للواحدي. والمتوسطة (تفسير ابن كثير) وعض عليه بناجذيك. وللتبحر (ابن جرير) و(القرطبي) و(التحرير والتنوير).

في صحيح حديث رسول الله ﷺ يكفيك (الصحيحان) أو الجمع بينهما لعبد الحق الإشبيلي.

وفي العقيدة: معارج القبول للحكمي، والقول المفيد لابن عثيمين، والحموية والتدمرية.



مكتبتك أمّ رؤوم .. والمكتبة العامة ظئر!

الظئر: من تعطف على غير ولدها.

هل يستطيع طالب علم ومعرفة أن يعيش بلا مكتبة؟

المكتبة الخاصة هي حياة طالب العلم، وحديقة المثقف، وبوّابته إلى عالم العقول والأفكار، والكوّة التي ينفد منها النور إلى حياته.. والمنصّة التي ينظر منها إلى التاريخ.

طالب العلم والمكتبة بين مسارين رئيسين:

١) **القراءة**.. وتكفي فيها مكتبة شخصية بما يحتاجه من الكتب للقراءة والمطالعة، وهذه مقدور عليها لغالب الطلبة.

٢) **البحث**.. ويحتاج إلى مكتبة متكاملة الجوانب بأنواع الكتب في مختلف التخصصات، في مختلف العصور.

وهذه إما أن تكون شخصية، فيحتاج جمعها إلى وقت طويل ومال كثير ومكان كبير.. ولا يتسنى ذلك لكل أحد، وأحق الناس بهذا مَن كانت له بحوث أو تحقيقات واشتغل بذلك دهره.. فهي عُدّته وآلته التي يصنع بها ويتميّز.

وإما أن تكون مكتبة عامة.. يراجعها باستمرار، ويمكث فيها الساعات الطوال، ويكون خبيرًا بها وبكتبها وترتيبها بحيث يمكنه الإفادة منها بيسر وسهولة، ولا يضيع الوقت في البحث عن الكتب بين رفوفها...

وهذه فيها مصاعب جمة وعقبات... ليس أقلّها أن وقت غالب المكتبات محدد، والجيّد منها يقفل في حدود التاسعة مساءً.. وأجمل أوقات البحث لا يبدأ إلا بعد الحادية عشرة عند كثيرين.. وأنا منهم.

ومن مشكلاتها عدم الخصوصية التامة.. فرؤية الناس والشعور أنهم بقربك يشغلك عن البحث والكتابة.. بعض الباحثين لو شعر بنسمة هواء .. انقطع حبل أفكاره.

صحيح أن بعض المكتبات تحاول أن توفّر مقصورات للباحثين لتضفي نوعًا من الخصوصية.. لكنها تبقى محدودة في خَلْق جوٍّ من الخصوصية.

ومن المشكلات: أن المكتبة قد لا يكون فيها إلا نسخة من الكتاب المطلوب، فيتنازعه باحثان أو لا يجده في مكانه لو غاب يومًا أو أيامًا.

ومن المشكلات: ضياع الوقت في الذهاب والمجيء من وإلىٰ المكتبة.

ومن المشكلات: ضعف متابعة ما يصدر من الكتب والبحوث والدراسات لدىٰ الكثير من المكتبات العامة.





نصيحة لأبنائي وبناتي محبي القراءة

آمنت الآن بصدق مقولة: معرفة الكتب نصف العلم بعد ما رأيت حسابات بعض الإخوة والأخوات وما عرضوه من مقروءاتهم في العام المنصرم.

لا أخفي عليكم أني فرحت بهذا التوجه وهذه الهمم التي يمكننا أن نبعثها ببعض التنافس والتحدي (تحدي_قراءة_١٠٠_كتاب) (تحدي سبعة كتب في سبعة أيام) (١٨كتابًا في ٢٠١٨) وغيرها.

جميل أن نقرأ ونـنوع قراءاتنا، لكن لا بد من الانتقاء وتخير الجيد من سيل الكتب الهادر.

لا تكن إمّعة تنساق إلىٰ ما يذكره بعضُ من تعجب بهم أو تتابعهم، و تقرأ لتُجارِيهم فقط، ليكن لك رأي ونظر واختيار .

لا تقرأ ليقال قارئ.. فلن تنفعك هذه الكلمة بل ضررها أكبر وأوخم!

لا تدخِل عقلك إلا ما يزكو به ويفتح له آفاقا جديدة من العلم والمعرفة والفكر الصحيح.. وإلا فإن تأثير الكتب الفاسدة التي تقرأها باستمرار سيظهر شيئا فشيئا، ليكون في النهاية مرضا مستعصيًا وقناعات متجذّرة يصعب الفكاك منها، ولا تقل عندي حصانة أو لن أتأثر، فإن الشبَه خطّافة والانفتاح له ضريبته، وكان قد قالها غيرُك ثم جرفهم مِن الفكر الفاسد ما جرفهم!

وإلى مزيد من العلم والمعرفة والقراءة الهادفة.





الكتب وتباريحها

بالتجربة لأكثر من خمس وعشرين سنة في شؤون الكتاب .. شراء وفحصا وتحقيقا= وجدت أنه لا يمكنك أن تقتني دائما الكتب الجيدة أو النافعة من حيث المضمون تأليفًا أو من حيث النص تحقيقًا و تخريجًا، لا يمكن ذلك حتىٰ تسقط في طريقك مرات في شراك الكتب الضعيفة أو الرديئة.

ومَن اقتصر علىٰ اقتناء الكتب المعروفة أو المزكّاة أو الموصَىٰ بها ، سيفوته الكثير من المعرفة ولذة الاكتشاف، وسيفوته الكثير من حاسة النقد ومُعاركة الأفكار واكتشاف الكُتّاب والموازنة بين الكتب، وكثير من العلم لا يستخرج ولا تكون له لذة إلا بهذه الطريقة!

الكتب مثل الأصدقاء؛ فلابد من مخالطة الناس لتحصل علىٰ الشيء الذين تبحث عنه..

قد تعثر علىٰ صديق الروح في مكان أو موقف أو مناسبة لم تتوقعها.. كشأن بعض الكتب تمامًا تعثر علىٰ بعضهم في أماكن أو أوقات لا تتوقعها أبدًا. وأعتقد أن هذا مر بكم جميعًا.

لن أقول لإخواني هنا ومحبيّ: تقحموا كل صعب وذلول من الكتب، لكن التدرج كفيل بأخذ يدك إلىٰ الترقي لتكون في نهاية الأمر محترفًا..

ولو وصلت إلىٰ هذه المرتبة ـ وما أبعدها ـ لن يصفو لك اختيارك ولا نقدك.. فكم هي الكتب التي اشتريناها مؤخَّرًا ولا والله تساوي قيمة الورق الذي طبعت عليه، فقد أتقن المؤلفون وأصحاب الدور صنعة التحايل والتدليس حتىٰ راج بهرجهم علىٰ الخبراء!!

لكن عزاؤنا أنّا نروم المعرفة والعلم وأردنا الخير، ولن يُضِيع الله أجرَ مَن أحسن عملا.

وهنا أدعو إلىٰ فتح باب النقد والتقويم للكتب والدراسات والطبعات نقدًا علميًّا موضوعيًّا، يقف بنا علىٰ ميزات الكتب أو أوجه ضعفها.. ليحمىٰ جناب العلم ويهاب حمَلَته، ويتنبه الغافل ويقف العابث، ويرشد إلىٰ جيد الكتب وفاضلها.. ونحن نشكو من ضعف في هذا الجانب أو المجاملة علىٰ حساب العلم... والله الهادي.





بنـاءٌ .. وبنـــاء

(فرقٌ بين بناء طالب العلم وبناء المثقف.. كثير ممن يلبسون رداء الطلب اليوم يخلعونه على أبواب (المكتبة التراثية) وأخواتها)

هذه الكلمة أراها في غاية السبك والبيان! لا أمدح نفسي لكن أعطيها بعض حقها!

أخاف أن أشرحها فأفسدها، أو أتركها دون شرح فيفسد فهم الناس لها.

ما أردت قوله أن لطالب العلم بناء يخصه، وللمثقف بناء (أو لا بناء) يخصه.

كثير من طلبة العلم يبدأ طالبًا للعلم وينتهي به الطريق إلىٰ كونه مثقفًا! ما الذي حرف طريقه؟ أو هل كان الطريق الذي سلكه يؤدي إلىٰ ذلك؟

كلا الأمرين جائز..!

لماذا (المكتبة التراثية)؟

لأن المكتبة التراثية يصدق أن نقول عنها: «فيها كل شيء إلا كتب العلم الشرعي» كما قيل في تفسير الفخر الرازي: فيه كل شيء إلا التفسير! ولست على ثقة من هذه الكلمة في تفسير الرازي لكن على ثقة من الكلمة في المكتبة التراثية، وليس هذا عيبًا في المكتبة حيث اختارت هذا اللون من التخصص (أو عدم التخصص) ولكن اللوم -لو كان- على طالب العلم الذي يخلع رداء الطلب على اعتابها ظنًّا أن العلم ثمة.. تقليدًا لبعض أفاضل المطلعين الذين يترددون على هذا اللون من المكتبات، وهذا اللون من الكتب.

وأنا هنا لا أمنع محب العلم والاطلاع والثقافة من الاطلاع الواسع.. لكن بعد رحلة التأصيل والتكميل.. فتلك الكتب خطافة بعنواناتها البرّاقة وموضوعاتها المتنوّعة الخفيفة، وبالدعاية لها في مواقع التواصل الاجتماعي. بينما كتب العلم قوية جافة تحتاج إلى صبر ومصابرة.. وأهلها ليسوا من روّاد الشبكات في الغالب.. فالدعاية أقل بالطبع.

لا أريد أن أزيد، فقد صار الأمر واضحًا والطريق جليًّا...



بين القراءة والبحث

البحث المستمر.. يجدد الفوضىٰ في المكتبة..!

إذا رأيت مكتبة مرتبة مزوّقة، فصاحبها أجنبي عن البحوث ـ غالبا ـ أو بعيد العهد بها![1]

لا تلازم بين سعة القراءة والقدرة علىٰ البحث، القراءة والشغف بها شيء، والقدرة علىٰ البحث وممارسته وكذا التأليف والتحقيق كلها أشياء زائدة علىٰ مجرد القدرة علىٰ القراءة الواسعة، فللبحث وما إليه شروطه وآلياته لا تتوفر في مجرد قارئ نهم.

يصح أن نقول: إن كل باحث جيد قارئ جيد، وليس كل قارئ جيد يصح أن يكون باحثا جيدا..

---

(١) في رفع الإصر ص٣١ لابن حجر: أن أحد القضاة دخل علىٰ قاض فرأىٰ كتبه مصفوفة فقال: يا مولانا قاضي القضاة، ما أحسن تصفيف هذه الكتب! ورمَز إلىٰ أنه قليل الاشتغال فيها، **لأن كثرة الاشتغال تنافي حسن التصفيف غالبًا.**

والحقيقة أنه ربما يصعب الجمع بين الأمرين على وجه التمام؛ لأن القراءة الواسعة تستهلك الوقت.. فلا يبقى وقت للبحوث وتحريرها.

والبحث المستمر لا يُبقي وقتًا للقراءة الواسعة .. اللهم إلا في حدود موضوع البحث...

من التدبير الجيد للقارئ النَّهِم إن أراد أن يضرب بسهم في التأليف، ويكون لتأليفه أَلَق وتميّز وتجديد: أن يقسم حياته العلمية ما بعد التأصيل العلمي إلى مرحلتين:

الأولى: مرحلة القراءة الواسعة في العلوم على اختلاف طبقاتها وأنواعها، يجمع في أثنائها مشاريع متنوعة للتأليف، فيقيّد ويجمع ويستوعب الأفكار في أثناء قراءته الواسعة.

الثانية: بعد مدة مديدة من عملية الجمع والقراءة يعكس الأمر لتحرير تلك البحوث وترتيب معلوماتها واستكمالها والاطلاع على الجديد فيها. إلى أن تكون جاهزة للنشر والإخراج.

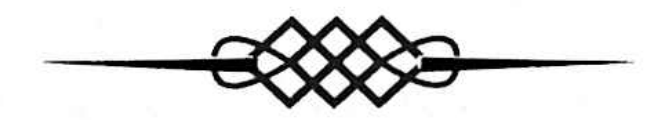
أعرفُ طائفة من الباحثين نهجوا هذا النهج، لكن قليل منهم نجح فيه كما ينبغي. لماذا؟ لأن الإلف له دوره، والروتين له تبعاته!

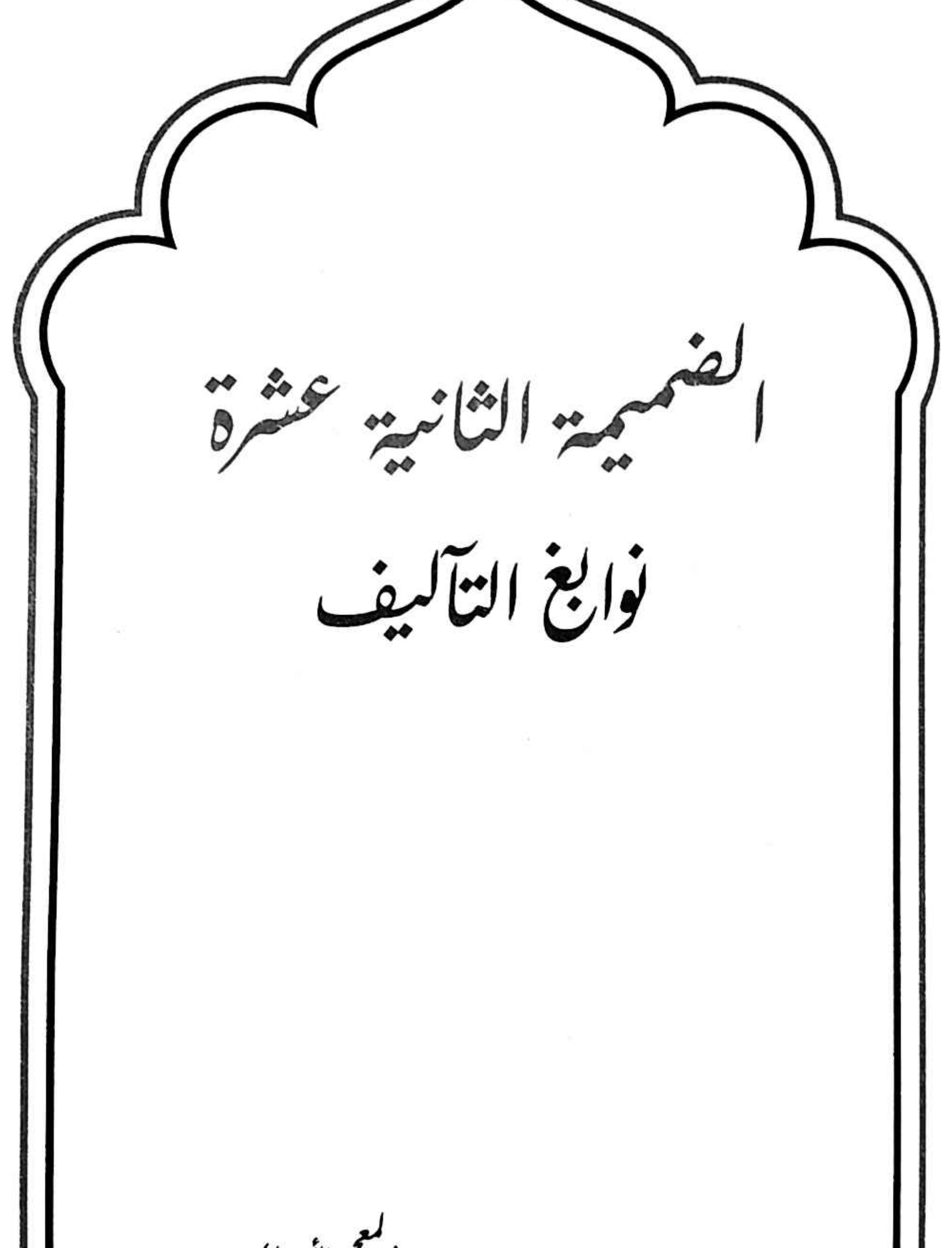
هناك من توسع في القراءة جدا حتىٰ في الثقافة العامة والعلوم التطبيقية وربما في الفنون والموسيقىٰ والعطور والحيوانات والجغرافيا والسياسة وغيرها، فهذا عاشق للقراءة ولا يخرُج منه باحث مكثر في الغالب بحسب ما رأيت ممن عرفت وممن لم أعرف لكني قرأت عنهم.

للنفوس رغبات ونوازع، من الناس من يرغب في القراءة والقراءة فقط، وهولاء طوائف أيضا.. أقلهم حظًّا من لم يستثمر قراءته بأي نوع من أنواع الاستثمار، وأحسنهم حظا من جعل لقراءته ثمارا عملية من بحوث أو مقالات أو كتب...

من كانت قراءته لمجرد المتعة أو الهروب من الواقع أو تزجية الوقت.. فلن يجد استثمارُ القراءة طريقا إلىٰ برنامجه ولا قبولا في نفسه!

هذه خاطرة كتبتها من رأس القلم.. ولا شك أنها لم تستوف جميع جوانب الفكرة.. واعتمادي علىٰ ذكائكم لتتنبؤوا بما لم أقله.





الضميمة الثانية عشرة

نوابغ التآليف

(المعجم الأوسط)

قال الطبراني: هذا الكتاب روحي



نوابغ التآليف

في عصر ثورة الطباعة يحتار المطلع في انتقاء الكتب الجيدة فكرة ومضمونا، ويحتار مرة أخرىٰ في اختيار أصحها طباعة وأجودها تحقيقا، فكيف بالناشئ في العلم الذي يلتمس الطريق في تكوين مكتبة فيها أمّات الكتب وأحسن الطبعات؟!

علىٰ امتداد تاريخنا كثرت الكتب كثرة هائلة تزيد علىٰ مئات الآلاف من المصنفات في كل الفنون، وهذه المصنفات متفاوتة في المكانة والقوة والاعتماد، وقد أشبعَ أهلُ كل فن القولَ في ميزات مصنفاتهم والمقارنة والمفاضلة بينها، كما كان للدارسين المعاصرين يدٌ باسطة في هذا الباب في الدراسات الوصفية للفنون علىٰ تفاضل بينها في الجمع والتحرير.

ومن بداهة القول أن الطالب بل حتىٰ المنتهي لا يستطيع تحصيل كل كتب الفن، فلا بد له من الانتقاء والاختيار.

وتقريبًا للحريصين علىٰ التحصيل واقتناء الكتب النافعة والمصنفات المحررة= جمعت لكم في هذه الضميمة جملة من أبرز المصنفات عبر العصور الإسلامية، أطلقت عليها (نوابغ

التآليف)؛ مَن حصّلها فقد حصّل لباب العلوم وصفوة المفاهيم وخلاصات عقول أذكياء العالم وفحول أهل العلم.

ولا شكّ أن التعرّف علىٰ هذه النخبة وعلىٰ نِتاجها وآثارها يوفر علىٰ الطالب أوقاتا ثمينة وأعمارا مديدة، ربما قضاها في القراءة لمصنفات لم تبلغ مدّ بعضها ولا نصيفه.

وضابطي في انتقاء هؤلاء الأعلام وكتبهم أمور:

١- أصالة الكتاب في فنه أو بابه.

٢- إمامة مؤلفه في العلم والتحقيق في فنه.

فلنذكر خمسين نجما من نجوم الدهر مع كتاب أو كتابين أو أكثر من غُرَر ما كتبوا، مرتبين علىٰ وفياتهم، ذاكرا أحسن طبعات كتبهم أو ما يفي بالغرض منها بحسب ما وصل إليه علمي، وما تركتُه غُفلا فلا أعلم له طبعة يُركن إليها.

١) **الشافعي** .. وكتاباه: الأم (ط. الوفاء) والرسالة (تحقيق أحمد شاكر).

٢) **أحمد بن حنبل**: المسند (ط. المكنز أو الرسالة) والزهد.

٣) **البخاري إمام الدنيا**، وكتابه الجامع الصحيح (ط السلطانية أو طبعة بيت السنة التي أشرِفُ علىٰ تحقيقها يسرها الله)، وكتابه التاريخ الكبير (ط. دائرة المعارف).

٤) **أبو داود**: السنن (ط. التأصيل أو الرسالة) والمراسيل (ط. الرسالة).

٥) **ابن جرير الطبري**، وكتابه التفسير أعظم التفاسير (ط. دار هجر)، وتهذيب الآثار (تحقيق محمود شاكر).

٦) **ابن المنذر الفقيه المجتهد**، وكتابه الأوسط (ط. دار الفلاح)، والإشراف (تحقيق صغير أحمد)

٧) **الدارقطني الحافظ**، وكتاباه السنن (ط. الرسالة)، و العلل (ط. الريان تحقيق محمد الدباسي)

٨) **الخطابي**، وكتبه: غريب الحديث (نشرة مركز إحياء التراث)، وأعلام الحديث (نشرة مكة المكرمة)، ومعالم السنن (بهامش السنن ط. الدعاس، أو وزارة أوقاف قطر).

٩) **ابن حزم الإمام**، وكتاباه: المحلىٰ (ط. دار ابن حزم، أو تحقيق بشار عواد)، وإحكام الأحكام (تحقيق أحمد شاكر وإحسان عباس).

١٠) **البيهقي الحافظ**، وكتاباه : السنن الكبير (ط. دار هجر)، ومعرفة السنن والآثار (رسائل جامعية).

١١) **الخطيب البغدادي**، وكتاباه: الكفاية (تحقيق ماهر الفحل)، والجامع لأخلاق الراوي (مؤسسة الرسالة)، وكتبه الحديثية.

١٢) **أبـو عمـر ابـن عبـد البـر**، وكتبـه: التمهيـد (تحقيـق بشـار عـواد- الفرقـان)، والاسـتذكار (ط. قلعجـي)، وجـامع بيـان العلـم (دار ابن الجوزي) وعموم كتبه.

١٣) **أبو حامـد الغزالـي**، وكتابـاه: المستصفىٰ (ط. الأشقر)، وإحياء علوم الدين (ط. دار المنهاج) مـع التـوقي مـن المؤاخـذات عليه.

١٤) **القاضي عياض بن موسىٰ**، وكتبـه: إكمـال المعلـم شـرح مسلم (ط. يحيىٰ إسماعيل)، والشفا (ط. المغـرب)، والمشـارق (ط. دار الكمال المتحدة).

١٥) **السـمعاني**، وكتابـاه: قواطـع الأدلـة في الأصـول (تحقيـق صالح حمودة. دار الفاروق)، والتفسير (ط. دار الوطن).

١٦) **ابن قدامة المقدسي**، وكتابه: المغنـي شـرح الخرقـي (ط. دار هجر، التركي والحلو).

١٧) **ابن الصلاح**، وكتابه: علوم الحديث (ط. نور الدين عتر، أو ط. عائشة بنت الشاطئ مع محاسن الاصطلاح).

١٨) **العز بـن عبـد السـلام**، وكتابـه: القواعـد الكـبرىٰ (تحقيـق عثمان جمعة ونزيه حماد. دار القلم).

١٩) **النـووي الإمـام**، وكتابـاه: المنهـاج شـرح مسـلم (ط. الرسالة)، والمجموع مع تكملة السبكي والمطيعي، وعموم كتبه.

٢٠) **القرطبي**، وكتابه: الجامع لأحكام القرآن (ط. دار هجر).

٢١) **ابن دقيق العيد**، وكتاباه: شرح العمدة (ط. أسفار)، والإمام (تحقيق سعد الحميد) وعموم كتبه.

٢٢) **أبو العباس ابن تيمية**، وكتبه: الفتاوىٰ (جمع ابن قاسم، المنهاج (تحقيق رشاد سالم)، الدرء (تحقيق رشاد سالم)، الاقتضاء (تحقيق العقل)، بيان التلبيس (ط. مجمع الملك فهد)، وعموم كتبه.

٢٣) **أبو الحجاج المزي**، وكتاباه: تهذيب الكمال (تحقيق بشار عواد)، وتحفة الأشراف (تحقيق عبد الصمد شرف الدين، أو بشار عواد).

٢٤) **الذهبي وكتبه التاريخية والحديثية**، وأعظمها السير (ط. مؤسسة الرسالة)، وتاريخ الإسلام (تحقيق بشار عواد)، والميزان (ط. الرسالة).

٢٥) **ابن قيّم الجوزية**، وكتبه: الزاد، وأعلام الموقعين، وتهذيب السنن، وعموم كتبه (طبعات دار عالم الفوائد).

٢٦) **جمال الدين الزيلعي**، وكتاباه: نصب الراية (ط. المكتبة المكية)، وتخريج الكشاف (ط. دار ابن خزيمة).

٢٧) **عمــاد الــدين ابــن كثيــر**، وكتبــاه: التفسـير (ط. محمـد إبراهيم البنا، أو دار طيبة)، والبداية والنهايـة (ط. دار هجـر أو ابـن كثير).

٢٨) **الشــاطبي**، وكتابــاه: الاعتصــام (دار ابــن الجــوزي)، والموافقات (تحقيق الحسين آيت سعيد).

٢٩) **الحــافظ ابــن رجــب**، وكتابــاه: فــتح البــاري (ط. دار الحرمين ١٠ مج)، وجامع العلوم والحكـم (ط. مؤسسـة الرسـالة)، وشرح علل الترمذي (ط. عتر) وعموم كتبه.

٣٠) **العراقي**، وكتبه: شرح الترمذي (يطبع قريبا في ٣٠ مجلدا في الجامعــة الإســلامية بالمدينــة)، والتقييــد والإيضــاح (ط. دار البشائر)، وطرح التثريب (ط. دار ابن الجوزي).

٣١) **ابـن الـوزير اليمـاني**، وكتابـه: العواصـم و القواصـم (ط. مؤسســة الرســالة)، ومختصــره الــروض الباســم (تحقيــق علــي العمران).

٣٢) **الحافظ ابن حجر**، وأعظم كتبه فتح الباري (ط. مؤسسة الرســالة)، واللســان (تحقيــق عبــد الفتــاح أبــو غــدة)، والتهــذيب (تحقيق مجموعة طلاب بالجامعة الإسلامية يسر الله نشره) وكتبه الحديثية.

٣٣) **السخاوي**، وكتاباه: فتح المغيث (ط. دار المنهاج)، والضوء اللامع (ط. حسام الدين القدسي).

٣٤) **السيوطي**، وكتبه: الدر المنثور (ط. دار هجر)، وجمع الجوامع، وهمع الهوامع (تحقيق عبدالعال مكرم).

٣٥) **عبدالرؤوف المُناوي**، وكتابه: فيض القدير (ط. المكتبة التجارية الكبرىٰ).

٣٦) **البغدادي** وكتاباه: خزانة الأدب (تحقيق عبد السلام هارون)، وشواهد المغني (ط. دار المأمون للتراث).

٣٧) **الصنعاني** وكتاباه: سُبل السلام (ط. العاصمة)، والتنوير شرح الجامع الصغير (تحقيق محمد إسحاق).

٣٨) **مرتضىٰ الزَّبيدي**، وكتابه: تاج العروس (ط. الكويت).

٣٩) **الشوكاني** وكتاباه: نيل الأوطار (تحقيق طارق عوض الله)، والسيل الجرار (ط. دار الجيل أو صبحي حلاق).

٤٠) **رشيد رضا** ومجلته المنار.

٤١) **محمد الخضر حسين**، ومجموع مؤلفاته (دار النوادر ١٥ مجلدا).

٤٢) **عبد الرحمن السعدي**، وعموم مؤلفاته (مؤسسة العنود - دار الميمان في ٢٦ مجلدا).

٤٣) **عبدالرحمن المعلمي**، وعموم كتبه (دار عالم الفوائد ومؤسسة الراجحي في ٢٥ مجلدا).

٤٤) **محمد الأمين الشنقيطي**، وعموم كتبه (دار عالم الفوائد ومؤسسة الراجحي في ١٩ مجلدا).

٤٥) **محمد ناصر الدين الألباني** وعموم كتبه (مكتبة المعارف، والمكتب الإسلامي).

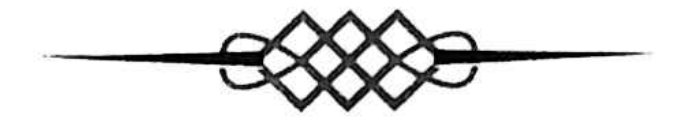
٤٦) **محمد بن صالح العثيمين**، وعموم كتبه (ط. مؤسسة الشيخ ابن عثيمين).

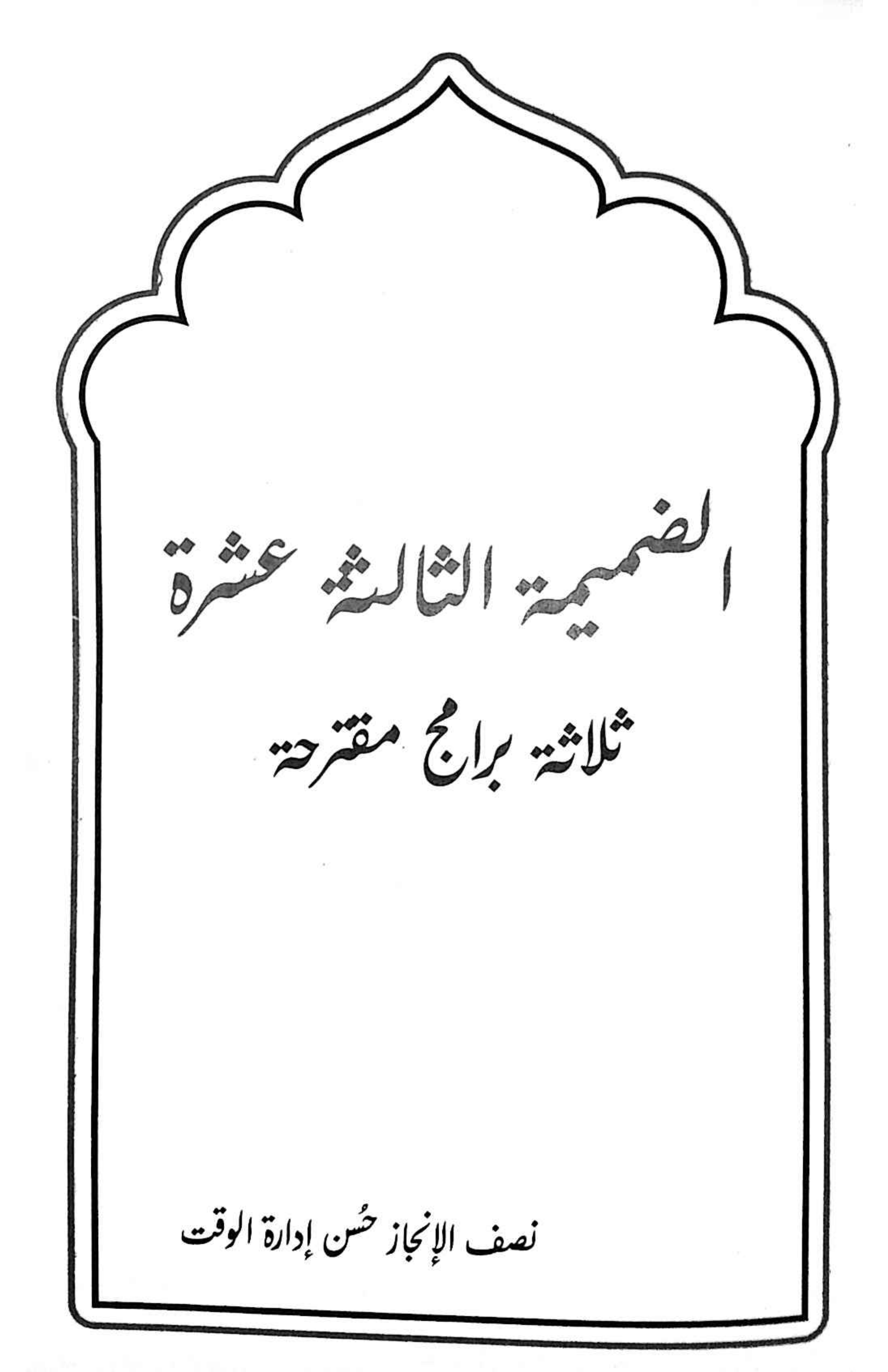
٤٧) **بكر بن عبد الله أبو زيد**، وعموم كتبه (نشر مركز تأصيل بجدة في ٣٢ مجلدا).

٤٨) **الرافعي** وكتبه: وحي القلم، تحت راية القرآن، تاريخ آداب العربية.

٤٩) **محمود شاكر** وعموم كتبه (دار الخانجي).

٥٠) **محمد محمد حسين** وجميع كتبه.

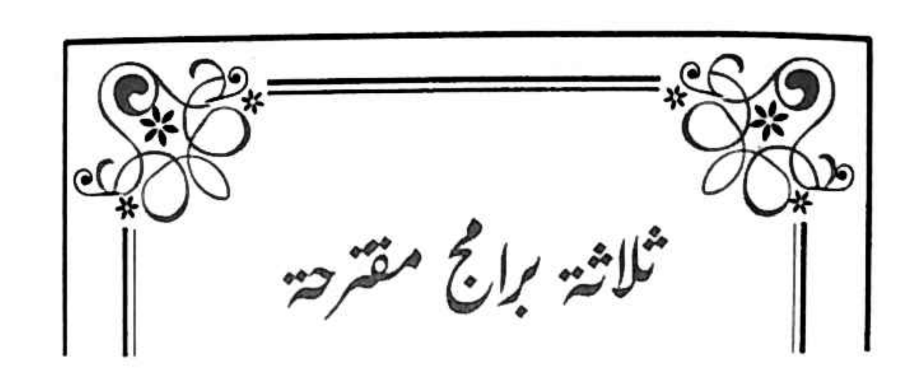




الضميمة الثالثة عشرة

ثلاثة برامج مقترحة

نصف الإنجاز حُسن إدارة الوقت





الأول: ليس المستهدف من هذا البرنامج (المقترح) شريحة معيّنة، وإنما يصلح لطائفة كبيرة من محبّي القراءة ومبتغي العلم والثقافة ممن شدا في العلم وأخذ بنصيب منه، ويريد أن يكمل المشوار، وليس له برنامج يؤوب إليه ولا ترتيب يسير عليه.

الثاني: يمكنك أن تقرأ فنًّا واحدًا (وهذا أفضل)، ثم تبدأ بالفن الذي يليه، ويمكن أن تخلط فنين في وقت واحد، أو كتابين من الفن نفسه في وقت واحد. أو تأخذ فنّا من علوم المقاصد ومعه شيء من الأدب أو التاريخ أو الثقافة وهكذا..

الثالث: سمّيتُ في هذا البرنامج الأول (٢٣ مجلدا) في سبعة فروع من العلم، وفي الثاني (٢١ مجلدا) في ستة فروع من العلم، ويمكن إنجاز كل واحد منهما في مدة عام واحد، إذا فرّغتَ ساعتين إلى ثلاث من وقتك بإذن الله.

إذا قرأت في اليوم ٣٠ ص فقط، ستنهي في الشهر ٩٠٠ص، أي: مجلدين، وفي السنة ٢٤ مجلدا. مع الاستمرار لبضع سنوات ستنتقل نقلة نوعية.

التنبيه الرابع: إذا تعارض هذا المقترح مع برنامج لك في الحفظ أو الدرس أو القراءة فقدّم برنامجك المخطط له، وخذ من هذا ما لا يخلّ ببرنامجك.

التنبيه الخامس: إذا عرفت سبب إخفاقك في برنامج القراءة، فحاول إصلاحَه أولًا قبل الشروع في أي برنامج ، ومن ثَمّ حدّد البرنامج المناسب والكتب المناسبة.. واستعن بالله.

السادس: أفضّل دائمًا لكن أن تكون البداية بكتب أدب الطلب (الحلية فالتذكرة فالتبيان) فهي تمهيد جيد ليصادف العلم محلًا قابلًا للنمو والترقّي. بعدها يبدأ إما بالعقيدة أو الفقه (يأخذ كتابًا منها) ويضيف إليه كتابًا في الأدب أو الثقافة، يجعل ساعتين ونصفًا للفقه وساعة أدب.

السابع: لابد من (قلم ودفتر) أثناء القراءة، تقيّد الفوائد في غلاف الكتاب، وتدوّن المسائل المشكلة في الدفتر. ويعلّم علىٰ المهم.

الثامن: إذا لم تفهم مسألة أو عبارة .. فلا تقف عندها طويلا، تجاوزها وقيّدها بسرعة للسؤال عنها..

التاسع: أهم شيء في البرنامج أمران: الاستمرار (كل يوم)، والانقطاع في المكان المناسب للقراءة والدرس، بدونهما هيهات أن تنجز.

العاشر: سترى أشياء تستحق الحفظ أو التلخيص.. اجعل إشارات ومصطلحات لتعود إليها، للحفظ مثلا (ح) وللتلخيص (ت) وللمذاكرة (ذ) الخ..

الحادي عشر: لا تغالب نفسك على القراءة في غير وقت النشاط، فإنك ستملّ عن قريب، فتظنّ أن البرنامج ثقيل ولا يصلح لك، وليس كذلك..





فإلى ذِكر الفنون والكتب:

العقيدة:

- تسهيل العقيدة الإسلامية، عبدالله الجبرين.
- صفات الله ﷻ، لعلوي السقاف. الدرر السنية.

الفقه:

- منهج السالكين وتوضيح الفقه في الدين، للسعدي (يمكن الاستعانة بشرح للفوزان أو غيره).
- مختصر الفقه الإسلامي، للتويجري.

الحديث:

- مختصر صحيح مسلم للمنذري – الألباني (أو للقرطبي- ط الألوكة).
- شرح الأربعين النووية، لابن عثيمين، مؤسسة ابن عثيمين.
- الرسالة المستطرفة، للكتاني، دار البشاير.

الأدب:

◈ بهجة المجالس، ٣ مجلدات، لابن عبد البر، تحقيق الخولي.

◈ نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد، للباشا، المكتب الإسلامي.

◈ وحي القلم، للرافعي (المجلد الأول)، دار القلم.

التاريخ:

◈ مدخل إلى التاريخ الإسلامي، للسلمي.

◈ دول الإسلام، للذهبي، دار صادر أو تحقيق الأنصاري

◈ مقدمة ابن خلدون، المجلد الأول (طبعة نهضة مصر، أو طبعة إبراهيم شبوح)

في أدب العلم والرقاق:

◈ التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي. تحقيق البصارة.

◈ تذكرة السامع والمتكلم، لابن جَماعة، تحقيق العجمي، دار البشاير.

◈ حلية طالب العلم، لبكر أبو زيد. دار العاصمة.

◈ الوابل الصيب، لابن قيّم الجوزيّة. دار عالم الفوائد.

في الثقافة:

◈ رسالة في الطريق إلىٰ ثقافتنا، محمود شاكر. دار الخانجي.

◈ حصوننا مهددة من داخلها، محمد محمد حسين. مؤسسة الرسالة.

◈ تاريخ الدعوة إلىٰ العامية وآثارها في مصر، نفوسة زكريا سعيد. (دار المعارف، دار الغرب)



البرنامج الثاني

أولاً: القرآن وعلومه:

- النبأ العظيم لمحمد عبدالله دراز، دار طيبة. (يلخص).
- التحرير في أصول التفسير لمساعد الطيار، معهد الشاطبي.
- تفسير جزء عمَّ: لابن عثيمين، مؤسسة ابن عثيمين.
- دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب للشنقيطي، دار عالم الفوائد.

ثانياً: العقيدة

- تلخيص الحموية لابن عثيمين. مؤسسة ابن عثيمين.
- تلخيص التدمرية لابن عثيمين. مؤسسة ابن عثيمين.
- الانتصار لأهل الأثر لابن تيمية، دار عالم الفوائد.

ثالثاً: الحديث والدفاع عنه:

- المنار المنيف لابن القيم، دار عالم الفوائد.
- مختصر جامع العلوم والحكم لمحمد المهنا، دار ابن الجوزي.
- الأنوار الكاشفة للمعلمي، دار عالم الفوائد.

رابعًا: الأدب والنحو:

- وحـي القلـم للرافعـي: المجلـدان ٢-٣، دار القلـم أو ابن حزم.
- أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدي، دار صادر.
- مئة فائدة في النحو والإعراب، لعبدالرحمن أبـو دجين، دار الصميعي.

خامسًا: التاريخ

- سـيرة العتيـق أبـي بكـر الصـدّيق لموسـىٰ العـازمي، دار الصميعي.
- لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم لشكيب أرسلان.
- مصطلح التاريخ لأسد رستم.

سادسًا: الفكر والثقافة:

- فصول في التفكير الموضوعي لعبدالكريم بكّار، دار القلم.
- التعـالم وأثـره علـىٰ الفكـر والكتـاب لبكـر أبـو زيـد، دار العاصمة.
- مقالات كبار الكتّاب عن القراءة والكتاب لعلي العمران، دار الصميعي.
- صـحتك بـين الحقـائق والأوهـام، حسـان شمسـي باشـا، دار القلم.

البرنامج الثالث

ترتيب مقترح لقراءة كتب الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

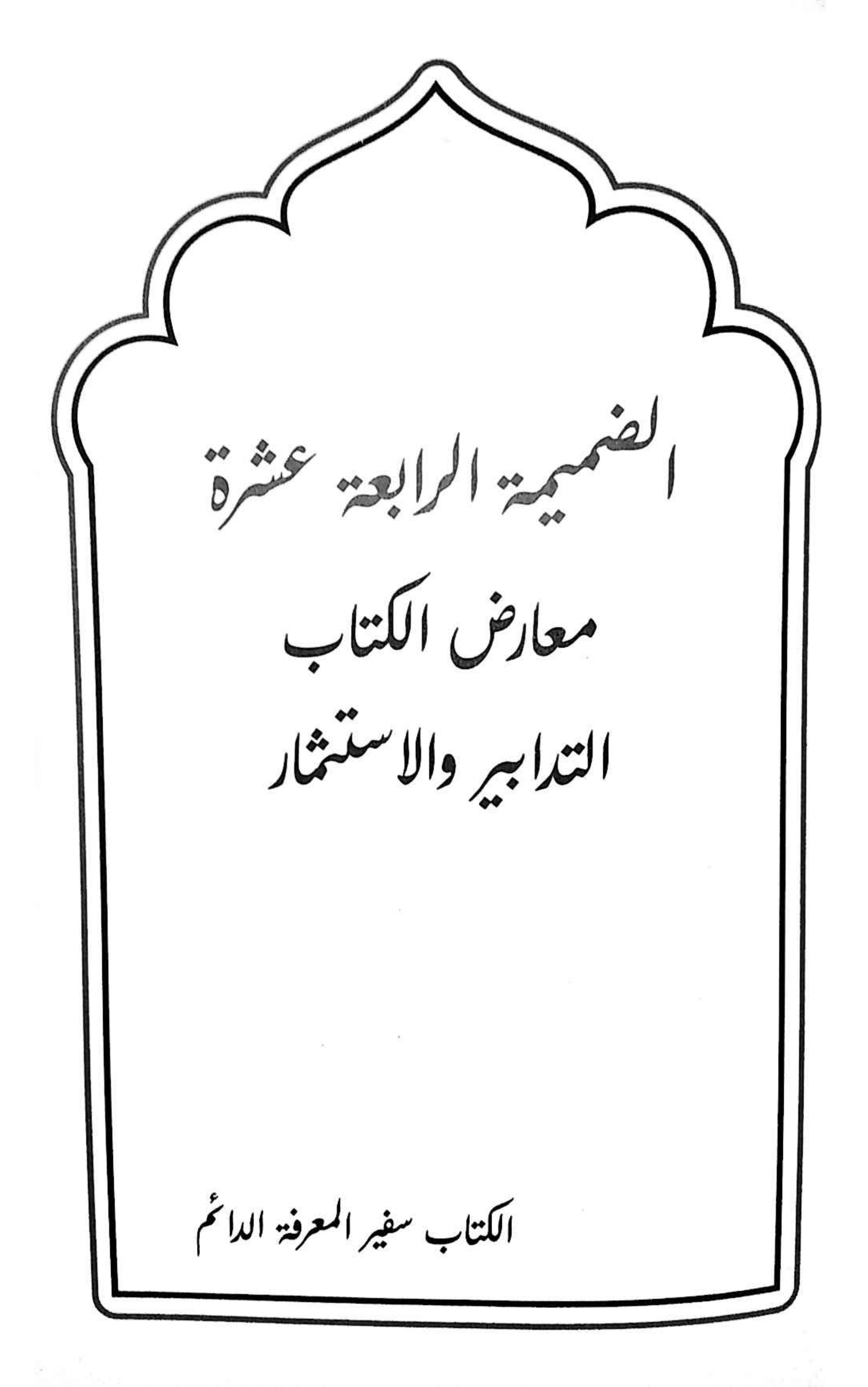
الطبعات المعتمدة لجميع الكتب ط. (دار عالم الفوائد - مؤسسة الراجحي) وما لم يُطبع وضعتُ له طبعةً مقترحةً.

- الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب. مجلد
- كتاب الصلاة وحكم تاركها. مجلد
- الداء والدواء = الجواب الكافي. مجلد
- الفوائد. مجلد
- زاد المعاد في هدي خير العباد. ٧ مجلدات
- عُدّة الصابرين وذخيرة الشاكرين. مجلد
- الرسالة التبوكية.
- رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه.
- رسالة في صيغ الحمد.
- التبيان في أيمان القرآن. مجلد
- المنار المنيف في الصحيح والضعيف. مجلد

- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. مجلدان
- مفتـاح دار السـعادة ومنشـور ولايـة العلـم والإرادة. ثلاثـة مجلدات
- حادي الأرواح إلىٰ بلاد الأفراح. مجلدان
- جِلاء الأفهـام في فضـل الصـلاة والسـلام علىٰ خيـر الأنـام. مجلد
- أعلام الموقعين عن رب العالمين. ٦ مجلدات
- تحفة المودود بأحكام المولود. مجلد
- إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان.
- رفع اليدين في الصلاة. مجلد
- تهذيب سنن أبي داود. ٣ مجلدات
- الكلام علىٰ مسألة السماع. مجلد
- بدائع الفوائد. ٥ مجلدات
- الفروسية المحمدية. مجلد
- طريق الهجرتين وباب السعادتين. مجلدان
- اجتماع الجيوش الإسلامية علىٰ غـزو المعطلـة والجهميـة. مجلد

- الصواعق المرسلة علىٰ الجهمية والمعطلة (العاصمة). مجلدان
- الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية. ٣ مجلدات
- الروح. مجلدان
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين. مجلد
- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل (الصميعي، أو العبيكان). مجلدان
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (الصميعي، أو دار الكتب المصرية). ٥ مجلدات
- الطرق الحكمية. مجلدان
- أحكام أهل الذمة (رمادي، أو العلم للملايين). مجلدان
- هداية الحيارىٰ في أجوبة اليهود والنصارىٰ. مجلد

المجموع واحد وستون مجلدا (دون الفهارس)، بمجموع صفحات يقارب ١٣٠٠٠ صفحة، يمكن قراءتها في سنة ونصف بمعدل ٥٠ إلىٰ ٦٠ صفحة كل يوم.

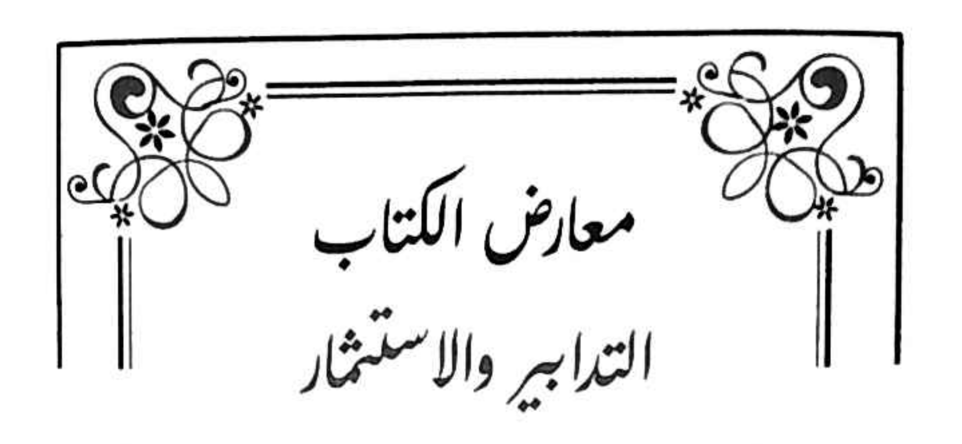


الضميمة الرابعة عشرة

معارض الكتاب

التدابير والاستثمار

الكتاب سفير المعرفة الدائم



معارض الكتاب
التدابير والاستثمار

هذا التقييد كان مجموعة من الخواطر والأفكار كتبتُها قبل بضع سنوات بمناسبة معرض الكتاب الدولي بالرياض، واستحسنَها كثيرٌ من الإخوة، ثم زدتها عددًا آخر في مناسبة أخرىٰ، ولقيَتْ استحسانًا هي الأخرىٰ، وانتشرت انتشارًا واسعًا عبر وسائل النشر الحديثة، ثم ألقيتُ موضوعًا في المعنىٰ في عدة محاضرات، منها في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة في الفعاليات المصاحبة لمعرض الكتاب السنوي سنة ١٤٣٣هـ، وألقيتها كذلك في نادي كتابي بمكة المكرمة سنة ١٤٣٨هـ وفي غيره...

وها أنا أنشرها اليوم ضمن هذا الكتاب ليرجع إليها من شاء بعد أن اختمرت وتمحصت، وزيد فيها ونقص، فإليكموها مهذّبة مرقّمة:

أولا: قبل زيارة المعرض أو في التمهيد له

١. تقـديرُ موازنـةٍ للشِّـراء حتـىٰ لا تضـرَّ بالتزاماتـك الأخـرىٰ، فالكتب تستهلك المال لو فسحَ الواحدُ منا نهمته للشراء!

٢. إحسان التدبير للمال الـذي اعتمدتـه لشراء الكتـب، بحيث يقسَّم علىٰ أيام المعـرض (إن كنـت تخطـط لزيـارات متعـددة) ولا تنفقـه في أول زيـارة، لـئلا تقعـد في آخـره معـدِما أو تتحسر علىٰ فوات كتاب مهم أو تضطر للاستدانة!

٣. استعرض مكتبتـك الشَّخصيةِ قبـل المعـرض بمـدة مناسبة (إذا كنـت مـن أصـحاب المكتبـات طبعـا) منعًـا لتكـرار الكتـب بنفس طبعاتها أو بطبعات مختلفة غير مهمة.

٤. حدّد احتياجاتِك: ورتبها بحسب الأهميّة؛ فمـا هـو المجـالُ الأكثـرُ أهميـةً بالنسبة لـك؟ ومـا هـيَ الكتـبُ التـي تريـدها في تخصصك؟ ومَنْ الذي تحرص علىٰ كتبه مِنْ المـؤلفين؟ وأيّ الدور أكثر أهمية؟ وغير ذلك.

٥. اكتب قائمة بالكتب التي تريد شراءها وصنفها إلىٰ أصـناف بحسـب أهميتهـا بالنسـبة لـك؛ المهمـة، الأكثـر أهميـة، ودوِّن ذلـك، واجعـل هامشًـا في الميزانيـة لمـا تـراه جديـدًا أو مهمًّـا أو نادرًا.. وهكذا.

٦. تصفّحْ موقعَ المعرِضِ علىٰ الشبكة، أو دليل المعرض إن كان مطبوعا. مع ملاحظة أن كثيرا من المعلومات لم تحدّث أو قديمة أو محذوف منها بعض الكتب، لأسباب لا تخفىٰ. وعنّي شخصيًّا لم أتعنّ النظر فيه!

٧. الحصول علىٰ خريطةِ المعرِضِ للوصولِ إلىٰ مواقعِ المكتباتِ بسهولة. وهذه مهمة، وهناك خرائط توزّع فاقتنِ نسخة منها في طول مدة المعرض. وبعض المعارض توفّر أجهزة مزودة بتحديد مواقع الدور والكتب والمؤلفين تنتشر في أرجاء المعرض، فالإفادة منها مهمة.

٨. معرفةُ جدولِ الفعالياتِ المصاحبة للمعرض، وحضور المفيد منها.

٩. اختيارُ أنسبِ أوقاتِ زيارة المعرِضِ، ومن أحسن الأوقات لزيارته: من بداية وقت الافتتاح س ١٠ص إلىٰ _٥ عصرا، فهذا الوقت مريح من كل المنغّصات (عدا كثرة طلاب المدارس لكنها أهون من غيرها)، وتستطيع بقية اليوم تفحّص ما اقتنيت.

١٠. متابعـة حسـاب المعـرض علـىٰ وسـائل التواصـل الاجتمـاعي، والهاشـتاقات المصـاحبة للمعـرض، فإنهـا تفيـد بكـل جديـد يتعلـق بأنظمـة المعـرض ومواعيـده وإيجابياتـه وسلبياته وأخبار الكتب وما إلىٰ ذلك.

١١. هنـاك مجموعـات علـىٰ الواتسـاب أو التلجـرام يُنشـئها مجموعة من المهتمين بالكتب تكون عادة مصاحبة للمعارض وتنتهي بنهايته، يمكن الانضمام لواحدة منها ومتابعة المفيد.



ثانيا: نصائح وقت الشراء

١٢. معرض الكتاب مع كونه فرصة لانتقاء الجيّد والجديد من الكتب والطبعات وتخفيض الأسعار، إلا أنه فرصة أيضًا لتنفيق الرديء وبهرجة الجديد والغبن في الأسعار!

١٣. ليس معرض الكتاب مكانًا مناسبًا للتعرّف على الناس، وأخذ تفاصيل أخبارهم، فكلٌّ جاء لقضاء غرض معين في وقت محدد، فليراع الزائر هذا الأمر، وإن كان ولابدّ فليكن باقتصاد، ومن الحسن ترتيب لقاءات بعد الخروج من المعرض في فسحة من الوقت وراحة من تعب الوقوف.

١٤. فكرة التنقّل بين دور النشر مع صديق ليست فكرة عملية، وهي أقرب إلى التسلية منها إلى التفحص والشراء بعناية، تفرَّقا واتفِقا على موعد تلتقيان فيه للراحة وتبادل المعلومات عن الكتب، أو عند الخروج.

١٥. ليست كل النصائح التي تسمعونها أو تقرؤونها (ومنها نصائحي هذه!) بمناسبة المعرض تصلح لكل الناس، خاصة فيما يتعلق بمدح كتب بعينها أو مؤلفين بأعيانهم. خذ ما يصلح لك وفق جداولك وخططك واهتمامك ومستواك.

١٦. يحسن بطالب العلم أن يكوّن مكتبة (فيها أمّات الكتب) ليصحّ أن يقال فيه: إن لديه اكتفاءً ذاتيًا لمكتبة باحث متكاملة، ثم لينزل إلىٰ مرتبة الحاجيات فالتحسينيات. ويمكن أن يتخصص فيجمع كتب الفنّ ويستوعبها إن تهيأت له الأسباب.

١٧. إذا أردت أن تكوّن مكتبة شخصية، فنصيحتي أن يكون المعرض لما لم تجده من الطبعات في المكتبات التجارية، أو لفرق ما بينهما من السعر مثلا.

١٨. من يملك "المال الكافي والمكان المناسب" فقد تهيأتْ له مقوّمات تكوين المكتبة التي يريد، بقي عليه حُسن اختيار الكتب والطبعات وتقديم الأصول والأُمات.

١٩. احرص أولا علىٰ زيارة الدور الناشرة أي التي لها إصدارات أو توكيلات أو توزيعات، أما المكتبات التي تجمع إصدارات الغير فهي (غالبا) كأي مكتبة خارج المعرض لا فرق.

٢٠. احرص علىٰ زيارة المعرض في أوله ووسطه وآخره (إن تيسر ذلك)؛ في أوله لئلا تنفد بعض الكتب المهمة، وفي وسطه لأن بعض الباعة يؤجل شيئا من العناوين فلا يطرحها أول

المعرض، وذلك لإعادة جذب الزبائن، أو أن بعض الكتب لا تصل في الأيام الأولى للمعرض، وفي آخره حيث ترخص الأسعار.

٢١. لا بدّ من دفتر صغير وقلم وأنت تمخر عباب بحر الكتب المتلاطم، قيّد فيه ما يلفتك نظرك وليس ضمن قائمة مشترياتك، لتعود إليه إن بقي معك فضل مال. ويغني عن الدفتر الآن تصوير غلاف الكتاب وعنوان الدار عبر أجهزة المحمول.

٢٢. قد يعجَب أحدُنا في مقتبل عمره بشخصية معينة، فيدعوه ذلك إلى تقليده فيما يقرأ وكيف يقرأ ولمن يقرأ... ويتابعه فيما يشتري من الكتب أو يوصي به، وهذا خطأ.. استفد من التجارب ولا تكن إمّعة.

٢٣. كثير من الشباب يتتبعون الكتب الجديدة والدراسات المعاصرة... وما علموا أن من القديم ما هو أقوى بحثا، وأحسن لغة، وأصفى منهجا.

٢٤. لا يكن همك (في ابتداء أمرك) البحث عن النادر من الكتب، فكثير من النادر لن تحتاجه إلا في النادر، عليك بما ستقرأه أو تدرسه في المدى القريب.

٢٥. لا تغرّك مقولة: "الكتاب من عنوانه"؛ فكثير من الدور أو المؤلفين قد استغلوا هذه المقولة أسوأ استغلال في تنميق العنوانات أو تجميل الغلاف للمتاجرة وتضليل القرّاء.. فتنبه.

٢٦. في معرض الكتاب يختلط حابل الكتب بنابلها، جيّدها برديئها، فاضلها بمفضولها، فمن لم يكن ذا بصيرة أو يسأل ذا بصيرة غُبن غبنا فاحشا في القيمتين العلمية والشرائية!

٢٧. إذا رأيت تجمهر الناس في المعرض في مكتبة أو على كتاب فلا تحرص كثيرا على التجمهر؛ لأنه غالبا ما يغرّك شراء الناس للشيء وإن لم يكن ذا قيمة!

٢٨. قد يُسهم بعض روّاد المعرض في غبن أنفسهم بأنفسهم، فتجدهم يحتشدون في مكتبة ما أو على كتابٍ ما.. فيغرون صاحبها بزيادة السعر أو إلغاء التخفيض!

٢٩. أجّل شراء الكتب ذوات الأجزاء إلى آخر أيام المعرض، فهي في الغالب لا تنفد، ويرخص سعرها في آخر الأيام.

٣٠. احرص على شراء الطبعات الحديثة للكتب التي يعاد طبعها، فغالبا ما يكون فيها تعديلات وإصلاحات ليست في السابقة، و كثير من الطبعات القديمة ستجده على رفوف المكتبات طوال السنة.

٣١. يعمِد بعض أصحاب دور النشر إلىٰ وضع نسخة أو نسختين من الكتاب علىٰ الطاولة، ليوهم بأنها كل ما تبقىٰ من كمية الكتاب، لا تنخدع فالأمر ليس كذلك - في الغالب- ولا سيما في أول أيام المعرض.

٣٢. عُد لدار النشر أكثر من مرة ، لأنك في كل مرة تعود إليها سترىٰ كتبًا لم ترها من قبل، إما بسبب الاستعجال في استعراض الكتب، أو لتوفيرهم كتبا نفدت أو وصلت حديثا.

٣٣. السؤال المتكرر من الإخوة الذين أقابلهم في المعرض: "ما هو الجديد؟" وقلنا مرارا: ليس بالضرورة أن يكون الجديد بالنسبة لغيرك هو الجديد بالنسبة لك، فالجِدّة نسبية، فبعض الناس جديدُه ما صدَر قبل شهر وبعضهم ما صدر قبل عام، ويختلف أيضا بحسب الناس وتتبّعهم لشؤون الكتب، وفي تباعد البلدان أيضا عامل آخر في التفاوت. وليس بالضرورة أيضا أن يكون هذا الجديد هو المناسب لك.

٣٤. الكتب الجديدة كثيرا ما تبالغ المكتبات في أسعارها حال نزولها.. تريّث في اقتنائها فلربما أخذتها بعد حين بنصف ثمنها، وهذا مجرّب.

٣٥. وليس من التدبير الحسن أن تقتني كلّ كتب أو تحقيقات شخص بعينه، لأن عمل البشر يتفاوت قوّة وضعفا. إلا إن كنت معنيًّا بدراسة نِتاجه العلمي.

٣٦. وليس من التدبير الحسن أن تقتني كل إصدارات مكتبة ما أو مركز ما، لابد من الانتقاء والاصطفاء، فما كل إصدارات الناشرين بسواء.

٣٧. ليس بالضرورة أن تقتني ما يقتني رفاقُك في المعرض، فلكل اهتمام واختيار وتخصص وذوق وقدرة متفاوتة ماليًّا ومعرفيًّا علىٰ التمييز والانتقاء.

٣٨. في المعرض إذا وجدت كتابا جديدا باهض الثمن قد تجده أقل بكثير خارجه، حصل لي أن وجدت كتابا في المعرض بـ ٥٠ريالا، ووجدته في اليوم نفسه خارجه بـ ٣٢. وهذا كثير.

٣٩. لا تلتفت إلىٰ دعايات توقيع الكتب من المؤلفين... فالقضية تسويق محض وتقليد صِرف، وأذكر ذاك المؤلف الذي جاء ليوقّع كتابه الفارغ من أي شيء!!

٤٠. **تحلّ بشيء من الوعي**: بعض الشباب معه قائمة: (العمدة، الروض، الرياض، الأربعين..) ويدخل إحدىٰ الدور التي غالب كُتّابها ممن "لايذكرون الله إلا قليلا" ويبدأ في السرد: هل عندك (العمدة ووو..) لا تشمتوا بنا هؤلاء!



ثالثا: تنبيهات بعد الشراء

٤١. تأكد حال شرائك للكتاب أنه كامل، فقد تطبع بعض الكتب ناقصة وليس على غلافها ما يوحي بذلك، مثل "تلبيس إبليس"- مدار الوطن ٣مج ولا تزال ناقصة! وسبق أن طبع صحيح ابن حبان وتاريخ الإسلام وتوضيح المشتبه وغيرها نواقص... ثم ينزل الكتاب كاملا ويُلزَم الإنسان بشراء النسخة كاملة وليس إكمال ما طبع!

٤٢. إذا اقتنيت كتابا فاحرص أن يكون في طبعته الثانية أو الأخيرة، فغالبا ما يكون فيها تعديلات وإصلاحات ومراجعات، وقد سبق هذا التنبيه.

٤٣. لا يكفي أن ترى تحقيقًا جديدًا للكتاب لتسارع في اقتناء طبعته الثانية أو الجديدة، دقق في مقدمة المحقق وما الجديد في طبعته وما ميزاتها وما دواعي الإعادة واسأل أهل الاختصاص.

٤٤. شعار "مزيدة ومنقحة" أصبح شعارا لبعض دور النشر (وربما المؤلفين) للتسويق بلا أمانة! فلا تنبهر به! أو يوضع في أي طبعة جديدة وإن لم تزد ولم تنقّح!

٤٥. بعض الكتب مجرد إعادة ترتيب لكتب أخرىٰ، مثل ترتيبات التمهيد لابن عبدالبر، أذكر منها أربعة أو خمسة، يكفيك ترتيب جيد، يغنيك عن البقية فلا تستكثر منها!

٤٦. لا تتردد في شراء الكتاب الذي تحتاج إليه في دراستك، أو تريد قراءته، أو تخشىٰ من نفاد نسخه، أو أوصاك به ثقةٌ مطّلع.

٤٧. لا تتعجّل في اقتناء الموسوعات الضخمة، لأنها تستهلك الميزانية، والمكان، وغالبها ستتوفر بعدة صيغ إلكترونية يمكن تصفحها والبحث فيها هناك.

٤٨. الرسائل الصغيرة غالبا ما تضيع في زحمة المجلدات، فتوجّهتْ بعض الدور إلىٰ ضمها في مجاميع مثل: لقاء العشر الأواخر، ورسائل ابن حزم، ورسائل العلائي، ورسائل ابن رجب، ورسائل الغزالي، ورسائل ابن عبدالهادي، ورسائل الجاحظ، ونوادر المخطوطات (جمع هارون)، وآثار ابن المقفع...وغيرها.

٤٩. احرص علىٰ اقتناء الكتب الجامعة لمقالات علمٍ ما، وقد صدرت مجاميع ممتازة، كمقالات الأخوين أحمد ومحمود شاكر، والطناحي (في مجموعتين)، والمعصومي، والدالي، والميمني، والسيد صقر..

٥٠. لا ينبغي أن تخلو مكتبة طالب العلم من الكتب الوصفية للفنون وتطورها، ومن الكتب المعرّفة بالفنون ومؤلفاتها ككشف الظنون ومفتاح السعادة وأبجد العلوم وغيرها.

٥١. الكتب المكشّفة غنيمة باردة... ومع ذلك فلا تصدنك الفهارس عن قراءة الكتاب، فلَكَ ذوق واهتمامات مختلفة عن المفهرِس... ومن جرب عرف.

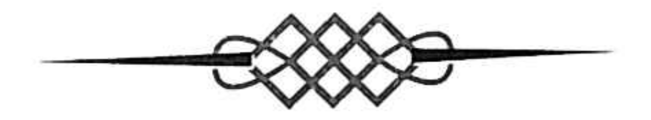
٥٢. العلوم الشرعية آخذٌ بعضُها برقاب بعض، فاقتن كتابين إلىٰ ثلاثة من الأمات في كل فن، كمرحلة تأسيسية، ومن فُتح عليه فليستكثر ما شاء كما يشاء.

٥٣. كتب شرح المصطلحات والتعريفات مهمة أيضا، كتعريفات الجرجاني، والتوقيف علىٰ مهمات التعاريف للمناوي، والكليات للكفوي، وكشّاف اصطلاحات الفنون للتهانوي.

٥٤. لا يفوتنك اقتناء جملة صالحة من المعاجم المتخصصة في الفنون والعلوم، كمعجم البلاغة لمطلوب، والمعجم الفلسفي لصليبا، والمعجم الأدبي لجبّور عبدالنور، ومعجم التوحيد، ومعجم مصطلحات الصوفية، وغيرها.

٥٥. أكثر الكتب "الساقطة" فكرا وأخلاقا ولغةً إنما طُبعت عدة طبعات بسبب دعاية منعها وسحبها من الأسواق، فلا تسهم في الدعاية لها باقتنائها أو التجمهر علىٰ محلات بيعها ولا بدلالة أحد عليها بحجة الاطلاع!

٥٦. ابتعد عن الكتب التي فيها مساس بمقدساتك فإنه لا خير فيها. و اسْعَ إلىٰ الجهات المختصّة (إن كانت) لاتخاذ اللازم حيالها.



رابعًا: مواصفات وعلامات

٥٧. إذا اجتمع في الكتاب المحقق أربعة أمور:

- عنوان صحيح.
- مقدمة كاشفة.
- نص سليم معتنىً به.
- فهارس كاشفة= فقد اكتمل حسنُه.

٥٨. البعض يظن أن مقياس جودة التحقيق في طول حواشي المحقق، وهذا ميزان فاسد، إنما جودة التحقيق في أداء الكتاب أقرب إلىٰ ما ترك المؤلف، والتعليق عليه باقتصاد وعلم وذوق، وخدمته بمقدمة جيدة وفهارس مفيدة.

٥٩. إذا اقتنيت كتابا فلا بد من المرور علىٰ خمسة أمور:

- غلاف الكتاب.
- مقدمة التحقيق.
- مقدمة المؤلف.
- تصفح سريع للكتاب.
- فهارس الكتاب.

٦٠. إذا وجدت في الكتاب صفحة بيضاء، فاعلم أنها ليست الوحيدة بل معها ٧ صفحات أخرىٰ أو ١٦ صفحة، فتفحّص كتابك لئلا تقتني كتابا ككتاب "كيف تربح بأقل مجهود"!

٦١. أفضل الأوقات لتصفح مقتنيات المعرض بعد وصولك إلىٰ البيت أو مقر إقامتك مباشرة (من تجربة شخصية) ستعرف عيوب الطبعات إن وجدت، وتفيد الآخرين بما وجدت، وغير ذلك.



خامسًا: عن دور النشر وما إليها

٦٢. أصحاب المكتبات ودور النشر غالبهم تجّار بل كلهم (وليس ذاك عيبا إذا توخوا الأمانة في الاختيار والتعامل)، فلا تظنّنهم جمعية خيرية قد أشرعت أبوابها للتوزيع!

٦٣. لا تظنّ أنك تتفضل على دار النشر أو صاحب الكتاب بشراء كتابه، بل الفضل لهم بتكلفهم عناء التأليف أو التحقيق والصف والمراجعة والتدقيق والطبع والشحن والتوزيع والتخزين والعرض بين يديك؛ لتأخذ الكتاب في النهاية على طبق من ذهب!

٦٤. عُرفت عدد من دور النشر بالجودة في الاختيار والطباعة، مما أغرى الكثير باقتناء مطبوعاتها بلا تردد، وهذا معقول في الجملة، لكن قد يعثر الجواد، فلا بد من فحص سريع حتى لا يغبن الشخص بمجرد ثقته الزائدة.

وأذكر مثالا: دار الغرب الإسلامي من الدور التي أحسنَت في غالب ما تطبع إلا أنها لا تخلو من ضعف في بعض ما طبعت، فكتاب (عوالي مالك في ٤ مجلدات - دار الغرب)، كان يمكن أن يطبع في جزء لا يزيد عن ١٥٠ص لا غير، لكن المحقق نقل تهذيب ابن حجر برمته إلى الحواشي،

وهنا يصدق القول: من قرأ الحواشي ما حوىٰ شي! وأذكر مرة أني التقيت بصاحب دار الغرب الحاج الحبيب اللمسي رَحِمَهُ اللَّهُ فسألته: ما الكتاب الذي ندمت علىٰ طباعته؟ فتردد، فقلت له: عوالي مالك؟ فقال: نعم!!

٦٥. اجتنب مطبوعات بعض الدور التي عُرفت بالنشر السيء وسلخ التحقيقات.. ولا أظنها تخفىٰ علىٰ الأكثر، إلا في نطاق محدود خرج عن القاعدة.

دار الكتب العلمية مثال علىٰ الدور السالف ذكرها، لكنها صوّرَت بعض الطبعات القديمة، فهذه تستثنىٰ من القاعدة، ومثلها التحقيقات الجيدة علىٰ ندرتها! أو الكتب التي انفردت بطباعتها واضطر الباحث إليها (وما أكثرها!).

٦٦. الدور اللبنانية تمتاز بجمال الإخراج وجودة التجليد، مع غلاء في الأسعار.. الجمال يغري بالشراء.. لكن الحصيف ينتقي كما ينتقي الغرابُ تمرتَه.

٦٧. بعض الدور تعمد إلىٰ تصوير الطبعات القديمة غير مراعية لاختيار الطبعة، فليس كل قديم جيدًا. وتُطبعها في غلاف حديث منمّق، فيظن من لم يفحصها أنها طبعة جديدة!

٦٨. ليس جمال الإخراج والورق ولا جودة التجليد دليلا علىٰ جودة الكتاب .. وإن كان مؤشرا عليه، فلا يستروحنّ المشتري فيغريه الجمال الظاهر عن الجمال الباطن، ويصح أن يقال في بعضها: من حُسنها فررت! ويا سعدنا إن اجتمعا!

٦٩. من أحسن الدور المصرية جودة: بولاق، دار الكتب المصرية، دار المعارف، الهيئة العامة المصرية، دار الخانجي، دار السلام، وغيرها.

٧٠. الدور المصرية تنقسم كتبها (ذات الطبعات القديمة والمعادة) إلىٰ الآتي:

◈ مصوّرات عن القديم فهذه ينظر فيها إلىٰ الكتاب نفسه من جهة وإلىٰ دقة التصوير ووضوحه وجودة الورق والتجليد.. وغالبه رديء.

◈ إعادة صف من جديد، فهذه غالبها في غاية من السوء من حيث الورق والتجليد والخط.. فينتقىٰ منها بعناية أو يقتصر علىٰ ما يحتاجه الباحث فقط.

٧١. هناك أعلام أيضا للعبث بالتراث منهم: كمال الحوت، ومحمد الجمل، وعبدالأمير مهنا، وعادل عبدالموجود وعلي معوّض، وعويضة، وعبدالرحيم علي ، وأمم مجاهيل لم نسمع بهم، وأخشىٰ ألا وجود لهم في الخارج!

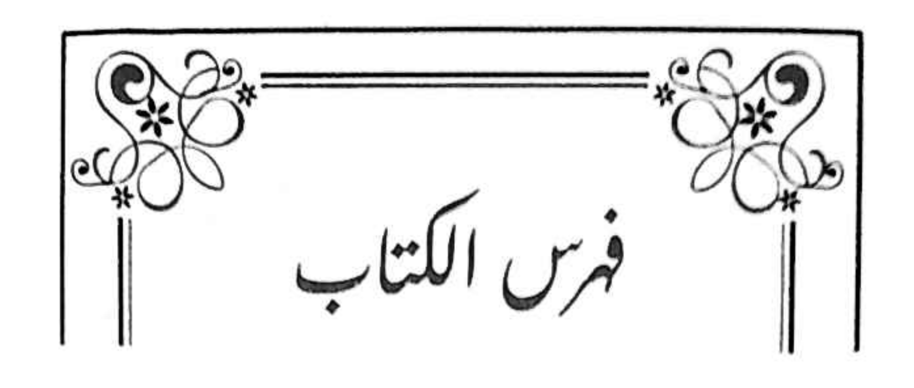
٧٢. مـن أسـماء هـذا الضـرب أيضـا: د. محمـد زيـنهم عـزب، متخصص في إفساد الكتب الدقيقـة ذات الموضـوعات المهمـة المتخصصـة، وانظـروا تحقيقاتـه علىٰ طبقـات الشـافعية لابـن كثيـر، وشـيوخ مالـك لابـن خلفـون، والألقـاب للجيـاني.. ستقفون علىٰ عجائب، وستبكون علىٰ هـذا الـتراث المستباح العرض!!

٧٣. وعليـه إذا رأيـت اسـم أحـد مـن هـؤلاء علىٰ اسـم كتـاب محقق، ففرّ منه فرارك من الأسد، فقد أتوا علىٰ كثير من الكتـب المهمة محقًا ومسخًا.

٧٤. بالمقابـل هنـاك أعـلام إن وجـدت أسـماءهم علىٰ كتـاب فخذه وأنت مطمئن غالبا، فمن المحققين: أحمد شاكر وأخـوه محمود، وعبد السـلام هـارون، والطنـاحي، والحلـو، وشـعيب الأرناؤوط، وأيمن السيد. ومن المؤلفين: المعلمي، والألبـاني، وبكـر أبـو زيـد، وابـن عثيمـين، والخضـر حسـين، وعبـدالكريم بكار، وغيرهم كثير..

والحمد لله رب العالـمين.





فهرس الكتاب


تم بحمد الله